

العودة إلى الظلال؟ مستقبل «كتائب حزب الله» ووكلاء إيران الآخرين في العراق

مايكل نايتس، "سي تي سي سننيل" تشرين الأول/أكتوبر 2020

كانت «كتائب حزب الله» أكثر الجماعات المسلحة تفضيلاً لدى إيران في العراق منذ تشكيلها في منتصف العقد الماضي إلى حين مقتل مؤسسها أبو مهدي المهندس في 3 كانون الثاني/يناير 2020. ومع ذلك، لم تكن أنشطة المهندس ونفوذه و«كتائب حزب الله» مترادفة، كما تبين منذ مقتله. ف «كتائب حزب الله» لا تزال تُعتبر الغرفة التي تحرك الهجمات المعادية للولايات المتحدة في العراق، لكنها أقل نشاطاً من الناحية السياسية وتعمل في بيئة أكثر عدائية لمكافحة الإرهاب حيث أصبح الإنكار والسرية أكثر أهمية مرة أخرى. كما يميل "فيلق القدس" التابع لـ"الحرس الثوري الإسلامي" الإيراني إلى نموذج أكثر تنوعاً في العراق، معتمداً على فصائل غير تابعة لـ «كتائب حزب الله» مثل "سرايا الجهاد" و "سرايا عاشوراء"، ومنخرطاً بشكل أكثر مباشرة مع الأقليات العراقية، بما فيها المجتمعات السنية والأكراد الفيليين الشيعة والتركمان. وقد يعيد التاريخ نفسه بينما تؤسس إيران خلايا عراقية جديدة أصغر حجماً وأكثر أماناً تذكر بتأسيس «كتائب حزب الله» بحد ذاتها.

تحتل «كتائب حزب الله» موقع الصدارة في التقييمات الأمريكية للتهديدات بسبب ارتفاع وتيرة هجمات الميليشيات ضد المصالح الأمريكية في العراق واقترب الذكرى السنوية للهجوم على السفارة الأمريكية في بغداد في 31 كانون الأول/ديسمبر 2019، ومقتل قائد "فيلق القدس" التابع لـ"الحرس الثوري الإيراني" قاسم سليمان ونائب رئيس "قوات الحشد الشعبي" أبو مهدي المهندس في 3 كانون الثاني/يناير 2020. وإذا استمرت الميليشيات في ضرب أهداف أمريكية، فقد هددت واشنطن بإغلاق سفارتها والرد على عشرات الأهداف التابعة للميليشيات في العراق، والتي قد يتمثل جزء كبير منها على الأرجح بقيادة ومواقع تابعة لـ «كتائب حزب الله». وفي 10 تشرين الأول/أكتوبر 2020، أعلن المتحدث الرسمي باسم «الكتائب» محمد محيي عن "هدنة مشروطة" مع القوات الأمريكية في العراق في محاولة للحدّ من الضغوط السياسية على «الكتائب» لوقف هجماتها، والتي أقر محيي أنها بلغت حدّ الأزمة من التهديدات الأمريكية.

وبعد مرور يومين، شجّع القيادي البارز في «كتائب حزب الله»، أبو علي العسكري، الميليشيات العراقية على مواصلة عمليات الاستطلاع والاستعدادات لضرب أهداف أمريكية في العراق وطائرات "صهيونية - أمريكية" تحلق فوق العراق إذا لم تنسحب الولايات المتحدة من البلاد. ويعتبر التدفق غير المنظم للرسائل الصادرة من مراكز مختلفة ضمن «كتائب حزب الله» هذه الأيام أحد المؤشرات على أن «الكتائب» أصبحت أقل تماسكاً وأكثر فوضوية.

وفي هذه المرحلة، من المهم بشكل خاص إلقاء نظرة فاحصة على «كتائب حزب الله» من خلال فصل الأساطير عن الواقع إلى أقصى حد ممكن [ولا سيما] في حالة مثل هذه المنظمة السرية. ففي آب/أغسطس 2019، خلص هذا المؤلف إلى أن "الجهاز العصبي المركزي لنفوذ "فيلق القدس" التابع لـ"الحرس الثوري الإيراني" في العراق هو أبو مهدي المهندس و«كتائب حزب الله»، مشيراً إلى قدرة مرادفة، والتي يمكن القول إنها بلغت في تبسيط العلاقة. والآن، بعد مرور نحو عام على مقتل المهندس، هناك فرصة لمراقبة «كتائب حزب الله» وهي تعمل دون ميزة الغطاء السياسي الكبير الذي كان يتمتع به المهندس. ووفقاً لخبرة المؤلف، فمنذ مقتل المهندس، أبدى العراقيون رغبة طفيفة أيضاً في التحدث في المجالس الخاصة عن قضية المهندس وعن «كتائب حزب الله» والفصائل الأخرى (الميليشيات التي كانت متواجدة قبل تشكيل "قوات الحشد الشعبي"). وقد برز بعض قادة «كتائب حزب الله» بشكل أكبر بسبب انخراطهم في "قوات الحشد الشعبي"، أو في الاعتداءات على الحكومة أو في قمع المحتجين. وقد فتح ذلك المجال للتحقيق في العلاقة الحقيقية التي جمعت المهندس بـ«كتائب حزب الله» وتحليل نفوذ المهندس بالمقارنة مع نفوذ «الكتائب» وتقييم دور هذه الجماعة وعلاقتها المستقبلية مع "فيلق القدس".

وفي جهد بحثي مكثف متعدد السنوات، بناءً على مقالات سابقة مفصلة بشكل متزايد نُشرت على موقع "سي تي سي سنطينيل"، أجرى المؤلف بحثين مترابطين في الفترة 2018-2020.

أولاً، زار المؤلف العراق في ست مناسبات وأجرى مقابلات مع أكثر من 30 مسؤولاً أمنياً وسياسياً. وكانت المحادثات جوهرية، وعادة ما امتدت المناقشات لأكثر من ساعة وتركزت على قضايا الميليشيات ولا سيما «كتائب حزب الله». وكان من بين الذين تمت مقابلتهم سياسيون بارزون، والكثير منهم قادة شيعة تجمعهم علاقات قوية بـ"فيلق القدس" التابع لـ"الحرس الثوري الإيراني". وتمت مقابلة الكثير منهم عدة مرات، وتم تدوين ملاحظات مفصلة للغاية. وأجريت جميع المقابلات مع حرص كبير على السرية بسبب التهديد الأمني الجسدي الشديد الذي تشكله الميليشيات، كما أُتخذت احتياطات شديدة، وهي أمور ضرورية في المستقبل، لضمان عدم تعرض مثل هؤلاء الأفراد للترهيب بسبب تعاونهم في البحث.

وإلى جانب المقابلات التي أجريت وجهاً لوجه، أجرى المؤلف أيضاً تواصلات بشكل مكثف عبر الإنترنت مع العراقيين الذين تمت مقابلتهم باستخدام تطبيقات ترأسل آمنة، تضمنت مئات طلبات المعلومات المحددة للتحقق من البيانات ونقاط التفاصيل متعددة المصادر، فضلاً عن النقل الآمن لشرائح كبيرة من البيانات والصور. واستخدم المؤلف سجله الحافل البالغ 16 عاماً في إجراء مقابلات مع العراقيين لتقييم المعلومات. وفيما يلي التحليل الناتج عن عملية مركبة لجمع المعلومات.

تمّ تقسيم هذا المقال إلى ثمانية أجزاء. في الجزء الأول، سيتناول المقال كيفية تشكيل «كتائب حزب الله»، والمهام التي تولتها، والدور الذي لعبه المهندس في تشكيلها. ويتطرق الجزء الثاني إلى الأثر الواضح لمقتل المهندس على «كتائب حزب الله»، بينما يتمحور الجزء الثالث حول توازن السلطة الداخلي ضمن «كتائب حزب الله» في وقت كتابة هذا المقال. ويبحث الجزء الرابع في الجوانب غير العسكرية المهمة لمجموعة الفصائل التابعة لـ «كتائب حزب الله» التي بقيت صامدة بعد رحيل المهندس، ويصف الجزء الخامس التركيز الجغرافي للقوات العسكرية ضمن «كتائب حزب الله». ويبحث الجزء السادس عن دور "العمليات الخاصة في «كتائب حزب الله»" في إبراز القوة الإيرانية من خلال الصواريخ والإرهاب. ويعرض الجزء السابع الدور

المحدود بل المهم الذي تضطلع به «كتائب حزب الله» في قمع الاحتجاجات وغيرها من انتهاكات حقوق الإنسان. وأخيراً، يجمع الجزء الثامن النتائج الرئيسية للدراسة ويقترح السبل الأكثر ترجيحاً التي ستعتمدها «كتائب حزب الله»، والفصائل الأخرى، و«فيلق القدس» التابع لـ«الحرس الثوري الإيراني» وشبكات «حزب الله» اللبناني في المستقبل القريب.

الجزء الأول: إعادة تقييم الجدول الزمني: المهندس والفصائل و«كتائب حزب الله»

نظراً لأهمية التاريخ والعلاقات الشخصية والفصائلية، من المهم أن نبدأ أي عرض لطبيعة «كتائب حزب الله» وعلاقتها بالمهندس من خلال العودة إلى بدايتها وإلقاء نظرة حديثة على تاريخ الجماعة ومؤسستها. وتتمثل أصول «كتائب حزب الله» بـ«حزب الدعوة الإسلامية» العراقي و«المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق» الذي شكلته إيران. فخلال سنوات معارضة النظام البعثي في العراق (بين 1968-2003)، طوّر «حزب الدعوة» ذراع عملياته السري الخاص - «المجاهدين». وحيث كانت قوات «المجاهدين» تعمل بالتنسيق مع الاستخبارات الإيرانية، فقد شنت عدداً من الهجمات الإرهابية في الكويت عام 1983. وكان أحد العراقيين المتهمين بالضلع بتلك الحادثة، والذي أصدرت الكويت بحقه لاحقاً حكماً غيابياً بالإعدام، هو أبو مهدي المهندس (اسمه الحقيقي جمال جعفر محمد علي آل إبراهيم).

وبالتوازي مع العمليات السرية، أسس «الحرس الثوري الإيراني» جناحاً عسكرياً تقليدياً لـ«المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق» هو «فيلق بدر»، الذي حارب العراق بقيادة صدام كجزء من نظام المعركة الذي اتبعه «الحرس الثوري» الإيراني في الحرب بين إيران والعراق. وبحلول عام 2002، كان أبو مهدي المهندس مساعداً قائد في «منظمة بدر» مما يعني أنه كان يقود العمليات اليومية. أما رئيس «منظمة بدر» الحالي، فهو هادي العامري، الذي كان رئيساً لهيئة الأركان في ذلك الوقت في ظل قيادة المهندس. وكان مصطفى عبد الحميد حسين العنابي (الملقب أيضاً باسم أبو مصطفى الشيباني أو حميد ثجيل وريح العنابي) قائداً لـ«محور» بغداد في «منظمة بدر»، في حين أن «الفرقة» الرابعة ضمن المنظمة كانت بقيادة أبو منتظر الحسيني (اسمه الحقيقي: حسين عبد مطر العبودي، وهو اليوم مدير عمليات «قوات الحشد الشعبي»). وقد ساهمت خبرة المهندس في قيادة «منظمة بدر» - في الحرب وفي عمليات حرب العصابات ضد نظام صدام بعد ذلك - في تأسيس شبكات ساهمت لاحقاً في تجنيد [عناصر] لصفوف «كتائب حزب الله» ودعم عملياتها.

«حواضن» الجماعات الخاصة في العراق

في أواخر عام 2002، أخذ المهندس إجازة من «منظمة بدر»، ويعود سبب ذلك على ما يبدو إلى عدم رغبته في العمل بشكل علني في العراق إلى جانب الولايات المتحدة في سيناريو ما بعد الغزو. ولم يدخل المهندس والشيباني إلى العراق مع رفاقهم في «منظمة بدر» عام 2003 سواء بدافع إيديولوجي أو بسبب خطر اعتقالهما لتنفيذهما أنشطة إرهابية سابقة، بل عملاً بدلاً من ذلك على تحقيق أولويات فورية ما بعد الحرب على غرار عمليات الانتقام من «حركة مجاهدي خلق» (وهي جماعة معارضة إيرانية مدعومة من صدام أرسلت إلى إيران لتصفية أفراد «منظمة بدر») فضلاً عن الانتقام من طيارين عراقيين متهمين بقصف المتمردين من «منظمة بدر» ومن الشيعة.

وأصبح المهندس عضواً مستقلاً في مجلس النواب خلال انتخابات كانون الثاني/يناير 2005، حيث نجح في إخفاء هويته عن الولايات المتحدة حتى ربيع عام 2007، حين كان في ولايته الثانية كعضو في البرلمان بعد إعادة انتخابه في كانون الأول/ديسمبر 2005. وكان المهندس المسؤول عن التواصل مع "فيلق القدس" التابع لـ "الحرس الثوري الإيراني" ومستشار أمني لرئيس الوزراء إبراهيم الجعفري خلال فترة ولايته بين أيار/مايو 2005 وأيار/مايو 2006، وجهة التواصل الرئيسية بين المقاتلين العراقيين وكبار قادة "الحرس الثوري" مثل قاسم سليمان. وإلى جانب المهندس الأكبر سناً والذي كان في الوقت نفسه عسكرياً ورجل دولة، كان أبو مصطفى الشيباني القائد اللوجستي الأصغر سناً، مما أدى إلى تسميته من قبل الأميركيين بـ "شبكة الشيباني".

ووفقاً للعديد من المراقبين المطلعين، يجب اعتبار المهندس الأب المؤسس لمعظم الجماعات المسلحة الشيعية المناهضة للتحالف، والشخص الذي يُنسب إليه الفضل في تنفيذ عملية تسليح "جيش المهدي" بالنيابة عن "فيلق القدس" خلال انتفاضتي عام 2004، ومن ثم فصل "عصائب أهل الحق" من صفوف المتشددين في "جيش المهدي". وكما أشار أحد الأشخاص المقربين من «كتائب حزب الله» الذين أجريت معهم مقابلة: "كانت «منظمة بدر» الحاضنة الأولى... ومن ثم «جيش المهدي»". وكما يوحي هذا الاقتباس، تمّ استخدام [كل من] "منظمة بدر" و"جيش المهدي" كمركز للتجنيد ضمن الشبكات المناهضة للتحالف تعمل تحت إشراف وإدارة "فيلق القدس" التابع لـ "الحرس الثوري الإيراني"، كما كانت عليه "منظمة بدر" منذ الثمانينيات.

تشكيل «كتائب حزب الله»

كان التأسيس الرسمي لـ «كتائب حزب الله»، باسمها المرموق وأيقونتها المشابهة لـ «حزب الله» اللبناني، مدفوعاً بعدد من التطورات. فكما ذكر حمدي مالك، سعى "فيلق القدس" التابع لـ "الحرس الثوري الإيراني" إلى إنشاء شبكة أكثر انضباطاً وأماناً من الناحية العملية من "جيش المهدي" أو "عصائب أهل الحق". وفي الفترة بين كانون الأول/2006 وأيلول/سبتمبر 2007، أسرت قوة عمليات خاصة أمريكية جديدة مجموعة من قادة "فيلق القدس" و"الجماعات الخاصة" في العراق. وخلال الفترة نفسها، هرب المهندس من العراق عندما تم الكشف عن هويته علناً وحاكمته الكويت (غيباً) بتهم إرهابية ارتكبتها منذ عام 1983. وألقي القبض على شقيق الشيباني من قبل قوات التحالف في نيسان/أبريل 2007، كما صنفت الولايات المتحدة أبو مصطفى الشيباني على لائحة الإرهاب في أيلول/سبتمبر 2007.

وتشكّلت الدائرة الضيقة لحركة «كتائب حزب الله» الجديدة من مقاتلين تمّ اختيارهم بدقة من خمس جماعات: "لواء أبو الفضل العباس"، "كتائب كربلاء"، "كتائب زيد بن علي"، "كتائب علي الأكبر" و"كتائب السجاد". وقبل عام 2007، كان يشار إليها أحياناً في أوساط استخبارات التحالف بـ "منزل الخمسة". (وقد شملت ميليشيات شيعية أخرى أصغر حجماً على سبيل المثال لا الحصر "سرايا المختار"، و"سرايا القصاص"، و"15 شعبان"، و"حركة حزب الله في العراق"، و"حركة سيد الشهداء"). وفي إيران، في معسكر لـ "فيلق القدس" التابع لـ "الحرس الثوري الإيراني" في مدينة كرمانشاه، بنى المهندس الكادر الأولي بمساعدة مدربين من "فيلق القدس" و«حزب الله» اللبناني.

وقد وضعت «كتائب حزب الله» معياراً جديداً للأمن العملياتي. فقبل انسحاب الولايات المتحدة في عام 2011، لم يتعدّى عدد عناصرها أكثر من 400 عضو، وكان معظمهم من قدامى المحاربين في "منظمة بدر" ولديهم ممتلكات وعائلات في إيران، لكن المتشددين من التيار الصدري انضموا إليها أيضاً. ولم يكن بإمكان أي عنصر الانضمام إلى صفوفها إلا بتوصية شخصية وضمانة من عضو آخر، وهو نوع من التدقيق من خلال الشبكات العائلية والقبلية.

وبين عامي 2007 و2011، أي السنوات المتبقية من الوجود الأمريكي، شنت الخلايا الهجومية لـ «كتائب حزب الله» العديد من الهجمات الأكثر تقدماً وفعالية ضد قوات التحالف: هجمات مميتة بواسطة الذخائر المرتجلة المدفوعة بالصواريخ استهدفت قواعد أمريكية باستخدام مركبات إطلاق ممّوهة؛ واختراق إشارات التحكم الخاصة بطائرة "بريداتور" الأمريكية؛ وحتى شن هجوم بالعربات الناسفة الخارقة على طائرة بريطانية من طراز "هيركليس" في مدرج في ميسان. وإقراراً بهذا الوضع، صنفت الولايات المتحدة «كتائب حزب الله» والمهندس على لائحة الإرهاب في كانون الأول/ديسمبر 2009، مما عزّز الانطباع السائد بأنهما مترادفان. وإلى حين مغادرة آخر جندي أمريكي، واصلت «كتائب حزب الله» تنفيذ عمليات "مقاومة" نشطة. وفي حزيران/يونيو 2011، شنت هجمات ضد قوات أمريكية وأودت بحياة 15 جندياً أمريكياً في محاولة واضحة لضمان انسحاب الولايات المتحدة من العراق.

سوريا وتنظيم «الدولة الإسلامية»: تطور «كتائب حزب الله» في الفترة 2012-2014

ربما كان انسحاب القوات الأمريكية من العراق في نهاية عام 2011 قد ترك «كتائب حزب الله» بدون مهمة وطرح مشكلة وجودية بالنسبة لها، لولا اصطفاؤها العابر للحدود مع ما يسمى بـ "محور المقاومة" - إيران و«حزب الله» اللبناني، ونظام بشار الأسد في سوريا، والمليشيات والمقاتلين المرتبطين بهم والمدعومين من إيران. وبالإضافة إلى تدريب المقاتلين الشيعة البحرينيين والسعوديين وتزويدهم بالعناد لمحاربة حكومتيهما التي يقودها السنة على التوالي، انضمت «كتائب حزب الله» أيضاً إلى فصائل أخرى موالية لإيران في تدخلها غير النظامي في الحرب الأهلية السورية. ففي سوريا، كانت الفرصة متاحة أمام المهندس و«كتائب حزب الله» لسداد ديون الفصائل العراقية إلى إيران و«حزب الله» اللبناني، اللذين تعرضا لضغوط شديدة بسبب الخسارة الوشيكة لسلطة الأسد.

وكما كتب أيمن التميمي، عمل المقاتلون الذين تمّ نقلهم من العراق أساساً تحت راية "كيان يعرف باسم «القوة الحيدرية»، المؤلف من مجموعات مستوردة من المقاتلين العراقيين من «كتائب حزب الله» و«عصائب أهل الحق» و«كتائب سيد الشهداء». وكانت علاقة مباشرة تربط «القوة الحيدرية» بـ «الحرس الثوري الإيراني»، ويبدو أن نطاق عملياتها كان أوسع داخل سوريا فيما يتخطى حدود دمشق (ليصل مثلاً إلى حلب)، بخلاف «لواء أبو الفضل العباس».

وفي سوريا، كانت أفضل الوحدات العراقية أداءً ضمن «القوة الحيدرية» هي «كتائب حزب الله»، و"حركة حزب الله النجباء" ومشروع أبو مصطفى الشيباني الجديد، و«كتائب سيد الشهداء»، في حين أفادت تقارير بأن بعض وحدات "منظمة بدر" و«عصائب أهل الحق» التي أرسلت إلى سوريا كانت أقل فعالية في هذا الدور

القائم على الحملات. وقد دفعت الخدمة الفعلية في سوريا بـ «كتائب حزب الله»، و«حركة حزب الله النجباء»، و«كتائب سيد الشهداء» إلى مركز الصدارة بين الفصائل.

وكانت الحاجة إلى قوة قتالية أكبر في سوريا أحد دوافع توسع «كتائب حزب الله» من 400 عنصر في عام 2011 إلى نحو 2500 عنصر في سوريا وحدها في عام 2013، رغم أنها كانت تقوم هناك بتجنيد الكثير من الشبان السوريين الشيعة من البلدات المهدهدة على غرار الفوعة وكفريا في محافظة إدلب. ووفقاً للمقابلة التي أجراها أيمن التميمي مع أحد مقاتلي «كتائب حزب الله» السوريين، حمل فرع الجماعة في سوريا اسم «كتائب حزب الله - الجبهة السورية». وفي السنوات اللاحقة، كان مقاتلو الجماعة تارةً ينضمون إلى وحدات «كتائب حزب الله» في سوريا، وطوراً يتم فصلهم إلى فرقة «روح الله» الإيرانية التابعة «الحرس الثوري الإيراني» في سوريا بسلاسة. وفقدت «الكتائب» أعداداً غير مسبوقة من الضحايا في سوريا مقارنة بالخسائر السابقة التي لحقت بخلاياها السرية على يد القوات الأمريكية في العراق.

بروز المهندس خلال الحرب ضد تنظيم «الدولة الإسلامية»

في العراق، كانت لدى المهندس طموحات محلية للمرحلة المقبلة لـ «كتائب حزب الله». وعندما بدأ النفوذ الأمريكي في التضاؤل في عام 2010، عاد المهندس إلى العراق وحصن نفسه في المنطقة الخضراء، وأقام علاقة وثيقة للغاية مع رئيس الوزراء آنذاك نوري المالكي. ومع تدهور الوضع الأمني في عامي 2012 و 2013، بدأ المالكي في الاعتماد على الفصائل («كتائب حزب الله» و«عصائب أهل الحق» و«كتائب سيد الشهداء» و«حركة حزب الله النجباء» و«كتائب الإمام علي» و«كتائب جند الإمام») لتأمين قوات مساعدة. [بدوره]، بدأ المهندس بالعمل على كسب تأييد المالكي لإنشاء قوة جديدة ممولة من قبل الدولة باسم «سرايا الدفاع الشعبي» للعمل تحت قيادة رئيس الوزراء، إلى جانب القوات المسلحة التقليدية. وخلال هذه الفترة، ارتفع عدد مقاتلي «كتائب حزب الله» في العراق إلى حوالي 750 (من 400 في عام 2011).

وسارع المهندس إلى انتهاز الفرصة التي قدمتها فتوى أصدرها آية الله علي السيستاني في 13 حزيران/يونيو 2014 بالتعبئة العامة ضد تنظيم «الدولة الإسلامية» لضمان تمويل حكومي لـ «قوات الحشد الشعبي» البالغ قوامها 160 ألف عنصر. وبصفته فاعلاً سياسياً فاعلة بارعاً يحظى بدعم كبير من قائد «فيلق القدس» التابع لـ«الحرس الثوري الإيراني» قاسم سليمان، تولى المهندس على الفور السيطرة على «قوات الحشد الشعبي» باعتباره رئيسها التنفيذي (رئيس مجلس إدارتها) ونائب رئيسها، وهو دور مشابه إلى حد ما لدوره المذكور سابقاً كـنائب رئيس «منظمة بدر» - ولكنه في الواقع كان قائد العمليات اليومية في «المنظمة». وكما ذكر المؤلف بالتفصيل ضمن مقاله في «سي تي سي سنتينيل» ولاحقاً في دراسة رئيسية شارك في كتابتها، سيطر المهندس داخل «قوات الحشد الشعبي» على الجزء الحصري الأكبر من أدوار طاقم العمل، وأوامر العمليات، والوحدات القتالية، والعوامل التمكينية (الصواريخ، والأسلحة المضادة للدبابات، والفرق الهندسية والاستخباراتية). وكما ستبين الأقسام اللاحقة، كانت «كتائب حزب الله» في مركز شبكة السيطرة التي أنشأها المهندس وكان يوثق بها بالأدوار الأكثر حساسية ضمن «قوات الحشد الشعبي».

وقد توسعت القوات القتالية لـ «كتائب حزب الله» بشكل كبير مع تشكيل الأولوية 45 و46 و47 في «قوات الحشد الشعبي» (التي يبلغ إجمالي عدد عناصرها حوالي 7500 مقاتل)، إلى جانب قوة «كتائب حزب الله - الجبهة

السورية" المذكورة أعلاه والتي تضم 2500 مقاتل، ليصل العدد الإجمالي للمقاتلين إلى 10,000. وقد جعل هذا التوسع الهائل والمفاجئ من «كتائب حزب الله» قوة معروفة تتمتع بشعبية فعلية للمرة الأولى، رغم أن عدداً كبيراً من الدفعة الأولى من المجندين الجدد كانوا لا يزالون غير مدركين بطبيعة الحركة في ذلك الوقت في ظل الفوضى الناتجة عن التعبئة لعام 2014، حين تم توزيع المجندين بشكل عشوائي على وحدات "قوات الحشد الشعبي" في مراكز التعبئة مثل التاجي وسامراء.

وكما كشف حمدي مالك مؤخراً، أدى التوسع إلى تحسين العضوية المتدرجة ضمن «كتائب حزب الله». فقد كان يشار إلى القادة الرفيعة المستوى بعبارة "الخال". (يقول مالك أن المهندس كان يحمل لقباً مميزاً "الشايب"). أما الدائرة الضيقة الموثوقة من منفي العمليات ضمن «كتائب حزب الله» فهي مجموعة من المرشدين الذين تطلق عليهم تسمية "معلمين". ويخضع الأفراد الملقبون بـ "الأجسام" لإشراف هؤلاء المرشدين الذين هم مقاتلون متمرسون لديهم سجل حافل وبعض الإلمام بطريقة عمل «كتائب حزب الله». أما الأغلبية الساحقة من أعضاء الجماعة اليوم فهم "أرقام" لا يتم ائتمانهم بالمعلومات، ولا حتى بالأسماء الحقيقية لقادتهم المباشرين. وتضم هذه المجموعة الخارجية الجديدة من الأعضاء ما قد يُعتبر "كتائب حزب الله" الكبيرة، والتي تختلف نوعاً ما عن الحركة الصغيرة ذات الطابع الأمني المشدد التي كانت قائمة قبل عام 2014.

علاقات المهندس المتغيرة مع «كتائب حزب الله»

حملت الحرب ضد تنظيم «الدولة الإسلامية» تغييرات مهمة أخرى للمهندس أقامت مسافة بينه وبين «كتائب حزب الله». واستنزف تنسيق عمل وإدارة العدد الكبير من الميليشيات من خلال "قوات الحشد الشعبي" وقت واهتمام المهندس بشكل متواصل. وللمرة الأولى، أقام علاقات قوية مع قادة الجيش البارزين مثل الفريق الركن عبد الأمير يارالله، الذي كان آنذاك نائب رئيس الأركان العراقي للعمليات في الفترة 2014-2019. واستثمر المهندس الكثير من الوقت في توطيد العلاقات شخصياً مع التركمان الشيعة والأكراد الشيعة (الفيليين) شمالي البلاد، فضلاً عن مجتمعات اليزيديين والشبك والكاكائيين، الذين كانوا من بين أكثر المجتمعات عرضة لتهديدات تنظيم «الدولة الإسلامية». كما بذل جهداً كبيراً في إقامة علاقات جديدة مع القبائل السنية في شمال وغرب العراق، ولا سيما مع أصحاب نفوذ بارزين مثل محافظ صلاح الدين السابق أحمد الجبوري (المعروف أيضاً بـ أبو مازن)، ومشعان الجبوري، وخميس خنجر، وعائلة الكربولي في الأنبار.

وتجدر الإشارة إلى أن المهندس بنى هذه العلاقات لـ "فيلق القدس" التابع لـ "الحرس الثوري الإيراني" وليس لـ «كتائب حزب الله». وتمت إدارة العلاقات مع السنة وجماعات الأقليات الأخرى في شمالي العراق بشكل مشترك من قبل المهندس ومجموعة من ضباط "فيلق القدس"، وأبرزهم السفير الإيراني في بغداد إيرج مسجدي، والعقيد المراقب لشمالي العراق في "فيلق القدس" الحاج علي إقبال بور. وبالمثل، كان مؤتمنو المهندس الذين شملوا القائدين التركمانيين الشيعيين أبو رضا يلماز النجار ومحمد مهدي البياتي أقرب إلى المهندس من قادتهم الإسميين في "منظمة بدر" ولكن ليس بما فيه مصلحة خاصة لـ «كتائب حزب الله». وتؤكد هذه الحالات الطريقة التي تجاوز بها المهندس تحالفه الأساسي مع «كتائب حزب الله» بحلول الوقت الذي بدأت فيه الحرب ضد تنظيم «الدولة الإسلامية» بالتراجع. [وفي هذا الإطار]، قال مسؤول عراقي يتمتع بخبرة مباشرة في «كتائب حزب الله» للمؤلف:

لم يكن المهندس جزءاً من هيكلية قيادة «كتائب حزب الله»، لكنه أشرف عليها وواصل القيام بذلك حتى مقتله. وعلى الرغم من أنه أشرف مباشرة على «كتائب حزب الله» في العراق، إلا أن المهندس كان القائد الفعلي لكافة الميليشيات التابعة لإيران في العراق. وكانت قراراته تسري على الجميع، وليس فقط على «كتائب حزب الله - العراق».

وبعد تحوُّله بسرعة بعيداً عن الشؤون العسكرية في نهاية عام 2017، كان المهندس في خضم تشكيل الحكومة العراقية عقب انتخابات حزيران/يونيو 2018، بحيث تفحص حرفياً المرشحين لمنصبي رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء، وكان بمثابة القابلة في عملية ولادة الحكومة الجديدة. وكان المهندس إحدى الشخصيتين البارزتين اللتين أثرتا على رئيس الوزراء العراقي الضعيف عادل عبد المهدي بشكل يومي، والآخر هو أبو جهاد (اسمه الحقيقي محمد الهاشمي)، رئيس ديوان رئيس الوزراء. وكان عبد المهدي متأثراً للغاية بالمهندس ويحبه، معتبراً أن الولايات المتحدة عاقبته ظلماً بسبب أفعاله خلال حقبة صدام في الكويت.

ومع انحسار حدة الحرب ضد تنظيم «الدولة الإسلامية»، بدأ المهندس بتطوير أداة قسرية لفرض عملية دمج الميليشيات المتصدعة - «مديرية الأمن المركزي» في «قوات الحشد الشعبي»، تحت قيادة مسؤول «كتائب حزب الله» أبو زينب اللامي (اسمه الحقيقي حسين فالح عزيز اللامي). وكانت رؤية المهندس لـ «قوات الحشد الشعبي» تتمثل في الاندماج في وحدات أصغر حجماً وأكثر قوة، مع فصل بعض الفصائل لتتفرغ للأنشطة الدولية دعماً لما يسمى بمحور المقاومة.

وواصل «فيلق القدس» التابع لـ «الحرس الثوري الإيراني» والمهندس في رؤية الثقة في عملاء «كتائب حزب الله» وتكليفهم بمهام رئيسية - على سبيل المثال، الدعم الاستخباراتي لحملة قمع الاحتجاجات في العراق خلال تشرين الأول/أكتوبر 2019، والهجمات بطائرات بدون طيار على السعودية في أيار/مايو 2019 والتي سهلتها «كتائب حزب الله» من داخل العراق. وبالمثل، قامت «كتائب حزب الله» بتأمين مهبط الطائرات «مطار الضباع» للانتشار - غرب جواله (رشاد)، على بعد 35 كيلومتراً جنوب غرب مدينة كركوك - والذي استخدمه «الحرس الثوري الإيراني» لإطلاق واستعادة طائرات الاستطلاع بدون طيار "لتحديد أهداف الضربة الصاروخية الدقيقة التي أطلقتها [إيران] في 8 أيلول/سبتمبر 2018 على مقر "الحزب الديمقراطي الكردستاني الإيراني" في كويسنجق في كردستان العراق، التي أسفرت عن مقتل 14 معارضاً وجرح 42 آخرين". وحين تم تفكيك دبابة أمريكية من طراز "أم 1 أبرامز" بشكل جزئي وإرسال قطع منها إلى إيران في تشرين الثاني/نوفمبر 2017، قامت «كتائب حزب الله» بحماية الفنيين الإيرانيين الذين ينفذون العملية في "معسكر سعد" في بعقوبة في ديالى.

عودة «كتائب حزب الله» للمقاومة بعد عام 2017

منذ بداية عودة «العمليات البرية» الأمريكية إلى العراق عام 2014، حرصت «كتائب حزب الله» على أن تكون موجودة لـ «تعقب» ومراقبة هذه القوات في كل مكان تتواجد فيه (باستثناء «إقليم كردستان العراق»). وقد أدت هذه المواجهة الرقابية إلى بذل جهد فعال لطرد القوات الأمريكية اعتباراً من أواخر عام 2017

فصاعداً، في ظل انهيار خلافة تنظيم «الدولة الإسلامية» في العراق وحيث لم تكن هناك حاجة إلى القوات الأمريكية لدعم العمليات القتالية الرئيسية. من جهتها، شنت إسرائيل ضربات على «كتائب حزب الله» في سوريا في الأعوام 2018 و 2019 و 2020. وقد استهدفت ضربة إسرائيلية واحدة على الأقل وحدات نقل الصواريخ التابعة لـ «الكتائب» داخل العراق في عام 2019. وهكذا، بحلول منتصف عام 2019، ركزت كل من الولايات المتحدة وإسرائيل على «كتائب حزب الله» باعتبارها خصمها الرئيسي في العراق، في حين اعتبرت «الكتائب» السفارة الأمريكية في بغداد بأنها القوة المحركة لاحتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019 [وهي التي وقفت] وراء ما زُعم أنه "الجيش الإلكتروني للولايات المتحدة".

وهناك مؤشرات قوية على أن «كتائب حزب الله» كانت تستعد للتصعيد مع الولايات المتحدة داخل العراق اعتباراً من تشرين الأول/أكتوبر 2019 فصاعداً، بما في ذلك تسليم ما لا يقل عن 4 حاويات محملة بشاحنات من الصواريخ غير الموجهة عيار 107 و 122 و 240 ملمتراً إضافة إلى أنظمة دفاع جوي محمولة و70 بندقية مضادة للعتاد، من إيران عبر الحدود الإيرانية - العراقية. ونسبت الولايات المتحدة إلى «كتائب حزب الله» هجوماً صاروخياً عنيفاً على القوات الأمريكية في 7 تشرين الثاني/نوفمبر 2019 ومن ثم مقتل مواطن أمريكي في 27 كانون الأول/ديسمبر 2019؛ وفي 29 كانون الأول/ديسمبر 2019 ردّت الولايات المتحدة ضد «الكتائب» في سوريا والعراق، وتسببت بمقتل 25 وجرح أكثر من 50 من أفرادها، بمن فيهم أربعة قادة من المستوى المتوسط. واعتبرت الولايات المتحدة الهجوم على السفارة الأمريكية في بغداد في 31 كانون الأول/ديسمبر 2019 انتقاماً موجهاً من المهندس و«كتائب حزب الله» على هذه الضربة، وهو ما كان عاملاً مساهماً في قرار الولايات المتحدة باغتيال المهندس وسليمان في 3 كانون الثاني/يناير 2020.

الجزء الثاني: «كتائب حزب الله» في أعقاب مقتل المهندس

حتى وقت قريب، كان من الصعب فصل قوة المهندس عن قوة «كتائب حزب الله». فمقتل المهندس في 3 كانون الثاني/يناير 2020 ورئيسه سليمان قدّم النظرة الأولى على عمل «الكتائب» من دون الاستفادة من المهارات السياسية الكبيرة للمهندس. ولم تُظهر «كتائب حزب الله» نفسها علناً وسط مجموعة قادة الفصائل الذين توجهوا فوراً إلى إيران للقاء خلف سليمان، قائد "فيلق القدس" التابع لـ "الحرس الثوري الإيراني" العميد إسماعيل قآني، ولاتخاذ مأوى لهم هناك والتعافي. ومن بين كافة الفصائل، كانت «كتائب حزب الله» الأكثر تحدياً في نبرتها ورسائلها العلنية، حيث رفضت "الاختباء" مثل معظم الميليشيات الأخرى. وسعت الجماعة بثبات نحو تحقيق هدفين منذ أن ضربت الولايات المتحدة قواتها في 29 كانون الأول/ديسمبر 2019، وخاصة منذ مقتل المهندس - وهما طرد الولايات المتحدة ومنع وصول سياسي نافذ موالٍ للغرب من أن يصبح رئيساً لوزراء العراق.

طرد القوات الأمريكية

كانت «كتائب حزب الله» المؤيد الدائم والأكثر علنيةً لطرد القوات العسكرية الأمريكية من العراق، سواء قبل عام 2011 أو منذ عام 2017. فحتى قبل مقتل المهندس، شنت الجماعة حملة واسعة النطاق من التهديدات العلنية والرسائل النصية الموجهة إلى النواب العراقيين من أجل ممارسة الضغوط عليهم لكي يصوتوا لصالح

طرد القوات الأمريكية من العراق. وتمت ممارسة الكثير من الترهيب قبل تصويت 5 كانون الثاني/يناير 2020 لإخراج القوات الأمريكية (ولكن من دون تأثير قانوني بسبب عدم اكتمال النصاب القانوني). (وكانت الولايات المتحدة قد ربطت هذا الجهد بأحد قادة «كتائب حزب الله» عدنان المحمداوي (المشار إليه بشكل غير دقيق بـ "الشيخ عدنان الحميداوي" في المعلومات الأمريكية لتحديد الهوية)). كما نظمت «الكتائب» تجمعات مناهضة للوجود الأمريكي ولطالما وبخت جماعات أخرى بسبب مقاربتها الحذرة تجاه طرد القوات الأمريكية. ففي أوائل آذار/مارس 2020، حذرت «كتائب حزب الله» كافة العراقيين من الحفاظ على مسافة تزيد عن 1500 متر عن مرافق التحالف بحلول 15 آذار/مارس من ذلك العام، وإلا قد يصبحون عرضة لهجمات «الكتائب».

لقد كانت «كتائب حزب الله» أكثر تكتماً بشأن الهجمات التي تشنها بالفعل؛ فهي لم تعلن مسؤوليتها عن هجوم واحد على الولايات المتحدة، وأصررت على نفي مسؤوليتها عن هجوم واحد على الأقل (هجوم بصاروخ على "معسكر التاجي" في 11 آذار/مارس 2020 أسفر عن مقتل جنديين أمريكيين وجندي بريطاني). ولا شك في أن بعض الهجمات الصاروخية المعروفة السبع والخمسين التي استهدفت القوات الأمريكية وقوات التحالف خلال الأشهر التسعة الأولى من عام 2020 نفذتها «كتائب حزب الله»، رغم أن نسبتها غير واضحة. (في 25 حزيران/يونيو 2020، داهمت الحكومة العراقية موقعاً في منطقة البوعيين، جنوب بغداد، واعتقلت 14 من أفراد «الكتائب»، تم ربط أحدهم بموجب الأدلة البيومترية بهجوم صاروخي سابق غير محدد). كما أن مدى تورط «الكتائب» في التفجيرات الستة والستين بقنابل مزروعة على جوانب الطرق والتي استهدفت قوافل الإمداد الأمريكية أو تلك التابعة للتحالف خلال الأشهر التسعة الأولى من عام 2020، أو الهجمات الثلاثة على مركبات دبلوماسية خلال الإطار الزمني نفسه، غير معروف أيضاً.

ويبدو أن «كتائب حزب الله» لجأت إلى نشر أسماء جديدة لها لتبني مسؤولية الهجمات. وتتمثل الوسيلة في إنشاء جماعات وهمية، وادعاء المسؤولية عن الهجمات باستخدام هذه الهويات للجماعات، وبالتالي إخفاء دور «كتائب حزب الله» في هذه الاعتداءات، لتمكين «الكتائب» من البقاء جزءاً من "قوات الحشد الشعبي" وتجنب الانتقادات السياسية لزعزعة الاستقرار في العراق. ورغم أن الاختباء وراء عدد من العلامات الجديدة هو أسلوب لإحداث ارتباك حقق نجاحاً جيداً في البحرين، يمكن القول إن الاتجاه الأخير في العراق بدأ في أيار/مايو 2019 حين انتشر مقطع فيديو يدعي تأسيس "جبهة الثوار الأحرار" المعادية للولايات المتحدة، التي بدت أنها تضم "منشقين" متشددين من "عصائب أهل الحق" و"سرايا عاشوراء" و"سرايا طليعة الخراساني" و"كتائب سيد الشهداء" و"لواء الطفوف" و"كتائب جند الإمام" و"منظمة بدر" و«كتائب حزب الله» و"كتائب الإمام علي" و"سرايا السلام". وبعد ذلك تم تأسيس "عصبة الثائرين" في 15 آذار/مارس 2020، ومن ثم تم الإعلان عن "الجيش الإسلامي للمقاومة"، وهو مزيج مزعوم آخر من ميليشيات قائمة ("بدر"، «كتائب حزب الله»، "عصائب أهل الحق"، "النجباء"، "كتائب سيد الشهداء"، "كتائب الإمام علي") في 26 نيسان/أبريل 2020، وهو اليوم المائة على مقتل سليمان والمهندس. ومنذ ذلك الحين، ازدادت أعداد الجماعات بشكل كبير، بما فيها "سرايا المنتقم"؛ "أصحاب الكهف"؛ "ثأر المهندس"؛ "سرايا ثورة العشرين الثانية"؛ "سرايا أوفياء الدم"؛ "ربع الله"؛ و"قاسم الجبارين"، (وهذا الأخير يشير إلى الولايات المتحدة).

تخويف الحكومة العراقية

كانت «كتائب حزب الله» أكثر علنيةً في تهديد شخصيات وعمليات الحكومة العراقية. ففي الثاني من آذار/مارس 2020، على سبيل المثال، حذّر المسؤول في الجماعة أبو علي العسكري السياسيين العراقيين من اختيار مصطفى الكاظمي رئيساً للوزراء المقبل في العراق، قائلاً:

إنه من بين المتهمين بمساعدة العدو الأمريكي على تنفيذ جريمة اغتيال زعيمٍ النصر القائد الحاج سليمان ورفيقه الحاج المهندس. ولا نعتبر ترشيحه إلا إعلان حرب على الشعب العراقي، وهو ما سيقضي على ما تبقى من أمن في العراق.

وأظهرت «كتائب حزب الله» عدائية استثنائية تجاه الكاظمي بصفته رئيس "جهاز المخابرات الوطني العراقي" الموالي للغرب. ففي نيسان/أبريل 2020، اجتاح حوالي 100 مقاتل من «الكتائب» (بعضهم مسلح بالقاذفات الصاروخية "أر بي جي") [مقر] الكاظمي في المنطقة الدولية، وأبقوه لمدة ساعة واحتجزوا أفراداً من حرسه الأمني. كما استخدمت «كتائب حزب الله» قنوات إلكترونية لتسريب أسماء كبار موظفي "جهاز المخابرات الوطني العراقي" الذي يرأسه الكاظمي. لكن في النهاية، فشلت «الكتائب» في إقناع فصائل أخرى بمنع وصول الكاظمي إلى رئاسة الوزراء في وجه الدعم الكبير لترشيحه من السيستاني، ومقتدى الصدر، والمجتمع الدولي، وفي 6 أيار/مايو 2020 عُيّن رئيساً للوزراء. وبالتالي، تكبّدت «الكتائب» هزيمة كبيرة، واضطرت لقبول التعيين من قبل مجلس النواب لرجل تعتقد أنه كان متواطئاً في استهداف سليمان والمهندس.

ومما لا يثير الدهشة، أن تولي الكاظمي منصب رئاسة الوزراء لم يضعه في منأى عن ترهيب «كتائب حزب الله». فعندما اعتقلت الحكومة عناصر من الجماعة في 25 حزيران/يونيو 2020، قاد قائد «الكتائب» أبو فدك (عبد العزيز المحمداوي) قوة مكونة من نحو 150 مقاتلاً جرى نقلهم في ما يقرب من 30 شاحنة صغيرة، من بينها واحدة على الأقل تحمل مدفعاً مزدوجاً مضاداً للطائرات من عيار 23 ملم والعديد من الشاحنات الصغيرة الأخرى المدرعة المحملة بمدافع رشاشة، إلى مقر إقامة رئيس الوزراء وطالبت بالإفراج عن المشتبه بهم ووضعهم في عهدها.

ألعاب القوى داخل الفصائل وبينها

لم يتمكن أي عنصر في قيادة «كتائب حزب الله» من أن يرتقي إلى مكانة المهندس من حيث علاقته الوطيدة بـ"الحرس الثوري الإيراني" (عبر سليمان)، وحادّة حسه السياسي، وقدرته على بناء تحالفات. وسعت فصائل أخرى إلى استغلال ذلك، مما أدى إلى اندفاع إيران للاحتماء من الضربات الأمريكية اللاحقة المحتملة ولقاء خلف سليمان، قائد "فيلق القدس" التابع لـ"الحرس الثوري الإيراني" العميد إسماعيل قآني. وعلى غرار التعبئة الجماهيرية في حزيران/يونيو 2014، أتاح مقتل الرجلين النافذين فرصة أمام قادة أفراد وفصائل لتعزيز روابطهم المباشرة مع "فيلق القدس" التابع لـ"الحرس الثوري الإيراني". وكان الرابحان الأكبر هما أبو علاء الولائي من "كتائب سيد الشهداء" وأكرم الكعبي من "حركة حزب الله النجباء"، وهما الفصيلان الرئيسيان "الحيدريان" من خارج «كتائب حزب الله» اللذان قدما خدمات حربية واسعة النطاق في سوريا، وكانا القائدان الوحيدان اللذان تم تصويرهما مع قآني.

وكانت أسباب الاستياء من «كتائب حزب الله» قائمة أساساً قبل مقتل المهندس، وتتعلق بهيمنتها على المناصب الرئيسية في "قوات الحشد الشعبي"، والمخصصات التفضيلية التي تحصل عليها للمساكن المدفوعة الأجر، واختطافها العلني واحتجازها غير القانوني لأعداد كبيرة من المدنيين السنّة، وميلها إلى الأعمال المثيرة التي عكست نظرة سلبية عن "قوات الحشد الشعبي"، مثل محاربة الشرطة العراقية في وسط مدينة بغداد أو اختطاف صيادين قطريين والمطالبة بفدية لإطلاقهم. ومنذ مقتل المهندس، ازدادت وتيرة مثل هذه الأعمال المثيرة وأشكالها، بما في ذلك الجهود الصارخة (وغير الناجحة) للتحكم باختيار رئيس الوزراء، والترهيب الجسدي لرئيس الوزراء الحالي، ودوس جنود «كتائب حزب الله» علناً على صور الكاظمي.

وفي شباط/فبراير 2020، حدثت انتكاسة مبكرة بعد تشكيل لجنة من الفصائل المدعومة من إيران لانتخاب نائب رئيس جديد (وقائد عمليات) لـ "قوات الحشد الشعبي" لملء المنصب الشاغر بمقتل المهندس. وفي حين كان المهندس يتمتع بمهارات دبلوماسية وقبول واسع النطاق من كامل الفصائل لتولي منصب نائب الرئيس التنفيذي لـ "قوات الحشد الشعبي" بأكملها، إلا أنه تمّ الاعتراض لاحقاً على الرجل الذي انتخبوه وهو أبو فهد (الذي قاد في وقت لاحق قافلة الشاحنات الصغيرة إلى مقر إقامة رئيس الوزراء)، في 20 شباط/فبراير من قبل وحدات الأضرحة الأربعة المؤسسة في "الحشد" (ما يسمى بـ "العتبات") التي تم استثنائها من اللجنة. وبشكل أقلّ علانية، برز انقسام داخل «كتائب حزب الله» نفسها بشأن ترقية أبو فهد. فعلى الرغم من تحديده منذ فترة طويلة على أنه الخلف المعين للمهندس في "قوات الحشد الشعبي"، إلا أنه واجه معارضة من قائد «الكتائب» الجديد، أبو حسين (الذي سيتمّ تناول ملفه في القسم التالي)، وتحدياً غير ناجح لفترة وجيزة من أبو مصطفى الشيباني، الذي أصبح الآن الأكبر مقاماً في قيادة الفصائل منذ مقتل المهندس.

الجزء الثالث: الصراع على السلطة ما بعد المهندس داخل «كتائب حزب الله»

بعد استعراض التاريخ التنظيمي والسياسي لـ «كتائب حزب الله» وعلاقة المهندس المتغيرة معها، سيقوم هذا المقال الآن بفهرسة الأصول المؤسسية لـ «الكتائب»، مقابل المحافظ التي يسيطر عليها "فيلق القدس" التابع لـ "الحرس الثوري الإيراني" وغيره من الفصائل ذات الميول الإيرانية. ويوضح ذلك بشكل أكبر قاعدة الأصول الكبيرة التي يمكن اعتبارها جزءاً مؤسسياً من «كتائب حزب الله».

"مجلس شوري" «كتائب حزب الله»

منذ تأسيسها، اعتمدت «كتائب حزب الله» نظام القيادة الجماعية، الذي أطلقت عليه اسم "مجلس الشوري". وربما يعكس "المجلس" بعض الطابع الهندسي الذي أضفاه عليه عماد مغنية وغيره من مستشاري «حزب الله» اللبناني، فله بعض أوجه الشبه مع "مجلس شوري" «حزب الله» اللبناني. وعلى غرار المجلس الفرعي للجهاد في «حزب الله» اللبناني، فلمجلس «كتائب حزب الله» جناحان عسكريان - "ذراع العمليات الخاصة" لـ «الكتائب» (على غرار "حركة الجهاد الإسلامي" أو "منظمة الأمن الخارجي") و"مكتب عسكري" لـ "كتائب حزب الله" - العراق (على غرار الجناح العسكري التقليدي لـ "المقاومة الإسلامية" لـ «حزب الله» اللبناني). ومثله مثل المجلس الفرعي لـ "الجهاد" في «حزب الله» اللبناني، لطالما كان لـ "مجلس الشوري" التابع لـ «كتائب حزب الله» "مشرف عام" خارجي - تمثّل عادة بالمهندس إلى حين مقتله، ولكن هذا الشخص كان لفترة

طويلة رجل دين عراقي - لبناني يُدعى آية الله محمد السند (مقره في بيروت). (يُذكر أن "الجبهة السورية لكتائب حزب الله" تخضع للسيطرة المباشرة لـ "فيلق القدس"/«حزب الله» اللبناني وليس لإدارة "مجلس شوري «كتائب حزب الله»").

فضلاً عن ذلك، عادة ما يضمّ "مجلس شوري «كتائب حزب الله»" 5 أعضاء، يتم اختيارهم جميعاً من قبل قائد "فيلق القدس" التابع لـ "الحرس الثوري الإيراني". وبخلاف «حزب الله» اللبناني، لا يضمّ "مجلس شوري «كتائب حزب الله»" رجال دين بل مقاتلين متمرسين. ونادراً ما يجتمع كافة أفراد "المجلس"، لأسباب تتعلق بالأمن العمليّاتي، وعادةً ما يُعقد الاجتماع في إيران فقط. وخلال [عهد] سليمانّي والمهندس، تلقى "مجلس الشوري" توجيهات حازمة من القيادة العليا، كما أشار أحد المراقبين المقربين، حيث كان المهندس "يشرف على أعضاء «المجلس» وقراراتهم، بدعم مباشر من قاسم سليمانّي". واليوم، إن المشرفين العامين غير معروفين، ولكن قد يكون من بينهم رجل دين لم يذكر اسمه مقيم في لبنان وقائد "فيلق القدس" التابع لـ "الحرس الثوري الإيراني" الأقل جاذبية ومعرفة، العميد قاتني، الذي لا يتكلم العربية.

ويشير البحث المعمّق الذي أجراه المؤلف إلى أن "مجلس الشوري" الحالي يتكون حالياً من أعضاء «كتائب حزب الله» التالية أسماؤهم:

أحمد محسن فرج الحميداوي (المعروف أيضاً بـ أبو حسين، و أبو زلطة، و أبو زيد) هو "الأمين العام" وقائد "العمليات الخاصة" في «كتائب حزب الله»، إحدى القوتين العسكريتين في «الكتائب». وعند إعداد هذا المقال، كان أبو حسين يبلغ من العمر 46 عاماً، وهذا يعني أنه كان قد بلغ سنّ الخدمة العسكرية في أوائل التسعينيات. ويتولى فرع "العمليات الخاصة" الذي يرأسه تنفيذ عمليات ضدّ أهداف أمريكية وتقديم الدعم لمقاتلين شيعة أجانب. ووفقاً لجهتيّ اتصال للمؤلف لديهما نظرة ثاقبة على السياسة الداخلية لـ «الكتائب»، فإن أبو حسين في سبيله لاكتساب سمعة بكونه متهوراً، ولا يمكن التنبؤ بتصرفاته، ويركّز على الانتقام للمهندس. كما أن أبو حسين هو جهة الاتصال الرئيسية بكل من رئيس الوزراء السابق نوري المالكي ودبلوماسيين روس.

عبد العزيز المحمداوي (المعروف أيضاً بـ أبو فدك، وأبو حميد) هو "قائد المكتب العسكري" لـ "كتائب حزب الله - العراق"، إحدى القوتين العسكريتين في الجماعة، ويشغل أيضاً منصب نائب الرئيس/رئيس الأركان بالوكالة في "قوات الحشد الشعبي". إن مسيرة أبو فدك المهنية معروفة نسبياً إلى حد كبير. فهو أكبر سنّاً بقليل من أبو حسين وانضم إلى "منظمة بدر" في أواخر ثمانينيات القرن الماضي. وتمت إعارته من "منظمة بدر" من قبل هادي العامري للعمل في "الجماعات الخاصة" في الفترة 2004-2007 وكان من بين أوائل أفراد «كتائب حزب الله». عمل في مكتب المهندس في إيران وكان على معرفة شخصية بكل من قاسم سليمانّي وعماد مغنية. وكان أبو فدك في طريقه لقيادة «كتائب حزب الله»، ولكنه خسر أقدميته في «الكتائب»، على حدّ تعبير العديد من جهات الاتصال الذين يعرفهم المؤلف، بسبب مشاركته الشخصية في عملية اختطاف الصيادين القطريين الموثقة علناً عام 2015. وكما أفادت العديد من جهات الاتصال التي يعرفها المؤلف، كانت العلاقات الشخصية بين أبو فدك وأبو حسين سيئة. وتعدّ ترقية أبو فدك إلى منصب رئيس أركان "قوات الحشد الشعبي" الرجوع إلى الواجهة، وإن كان ذلك في دور أكثر علنيةً يناسب عنصراً معروفاً الهوية جيداً، والذي سيتم تصويره بشكل متكرر، وبالتالي يمكن اعتباره "مكتشفاً" كعميل سري يشارك في مهام "العمليات الخاصة" الأكثر حساسية.

الشيخ جاسم السوداني (المعروف أيضاً بـ أبو أحمد) هو المسؤول عن التمويل والخدمات اللوجستية في «كتائب حزب الله». ويوصف بأنه "مؤسس" الجماعة، مما يشير إلى مشاركته فيها منذ بداياتها الأولى، علماً بأنه كان سابقاً عضواً في "منظمة بدر". وتصفه بعض المصادر عبر الإنترنت بأنه جندي تم أسره خلال الحرب الإيرانية - العراقية، مما يشير إلى أنه في الخمسينيات من عمره في وقت إعداد هذا المقال. وقد تولى لفترة من الزمن منصب قائد عسكري في "كتائب حزب الله - العراق".

جعفر الغانمي (المعروف أيضاً بـ أبو إسلام) هو المسؤول عن الشؤون المدنية في "كتائب حزب الله - العراق" وأمين عام سابق للجماعة. وتصفه بعض المصادر عبر الإنترنت بأنه جندي تم أسره خلال الحرب الإيرانية - العراقية ومن ثم أصبح عضواً في "منظمة بدر"، مما يشير إلى أنه في الخمسينيات من عمره في وقت كتابة هذا المقال. وقد وصفته مصادر إلكترونية أخرى بأنه من البصرة ويحمل شهادة في الهندسة الكهربائية.

الشيخ جاسم (اسم العائلة غير مؤكد، والمعروف أيضاً بـ أبو كاظم) هو العضو الأخير المعرف عنه في "مجلس الشورى". ويتولى الشؤون الإدارية، بما في ذلك مكاتب «كتائب حزب الله» التي تُعنى بشؤون المحاربين القدماء والشهداء والأسر والرعاية الصحية.

قادة آخرون في «كتائب حزب الله»

هناك عدد من كبار قادة «كتائب حزب الله» الذين ليسوا أعضاء حالياً في "مجلس الشورى"، على الرغم من أن بعضهم قد تناوب في المجلس على ما يبدو في الماضي. وعلى غرار أعضاء "مجلس الشورى"، تستحق الشخصيات أدناه لقب "الخال" المشرف في التسلسل الهرمي الذي حدده حمدي مالك.

الشيخ عدنان المحمداوي (عدنان يوسف جاسم، أبو عمار) هو عضو سابق في "مجلس الشورى" ويدير الآن "الهيئة الاقتصادية" في "كتائب حزب الله - العراق". وكان عضواً في جناح "العمليات الخاصة" في «الكتائب»، ويبلغ من العمر 42 عاماً في وقت إعداد هذا المقال، مما يشير إلى محارب آخر كان قد بلغ سنّ الخدمة العسكرية في تسعينيات القرن الماضي. وتم إلقاء القبض عليه من قبل الولايات المتحدة في عام 2009 ولكن حكومة رئيس الوزراء نوري المالكي أطلقت سراحه في عام 2010. وكما ذكر سابقاً، اعتبرته الولايات المتحدة شخصية رئيسية في جهود «كتائب حزب الله» في 2018-2019 لترهيب النواب العراقيين وحثهم على التصويت لطرد القوات الأمريكية. وأفادت إحدى جهات الاتصال التي يعرفها المؤلف بأنه مسؤول عن مجمع قاعدة جرف الصخر (أنظر أدناه).

حسين فالح عزيز اللامي (المعروف أيضاً بـ أبو زينب) هو رئيس "مديرية الأمن المركزي" في "قوات الحشد الشعبي". كان يبلغ من العمر 51 عاماً أثناء كتابة هذه السطور، مما يشير إلى أنه بلغ سن الخدمة العسكرية في أواخر الثمانينيات. ويصفه العديد من المراقبين بأنه مقرب بشكل خاص من أمين عام «كتائب حزب الله» أبو حسين. وعلى غرار أبو فهد، جعلت مشاركته مع "قوات الحشد الشعبي" بأن يكون "تحت مجهر" المراقبة العامة والدولية. ويبدو أنه يحافظ على علاقات وطيدة للغاية مع اثنين من الفصائل اللتين تعاون معهما بشكل

وثيق لقمع احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019 في بغداد، وهما "سرايا طليعة الخراساني" و"كتائب سيد الشهداء". كما يشتهر أبو زينب بالتحكم باحتياطات مالية كبيرة، ومشاريع اقتصادية نيابة عن شبكة أبو حسين ضمن «كتائب حزب الله»، بما في ذلك عمليات تهريب النفط.

ومن بين الأعضاء الآخرين في «كتائب حزب الله» الذين ظهروا إلى العلن من خلال عملهم مع "قوات الحشد الشعبي" ودورهم في قمع المحتجين هو أدهب قيطان الباهلي (المعروف أيضاً بـ ستار جبار التعبان أو أبو إيمان الباهلي) مدير الاستخبارات في "قوات الحشد الشعبي". ومقارنةً بغيره من كبار قادة «كتائب حزب الله»، فهو أصغر سناً بقليل، وكردني شيعي (فيلي) انتقل من "منظمة بدر"، تم تجنيده في "كردستان العراق" في التسعينيات. عمل آنذاك في وحدة العمليات الخاصة والمخابرات في "منظمة بدر" منذ أواخر التسعينيات، ومن ثم شغل وظيفة استخباراتية في وزارة الداخلية، وبعدها في "اللواء 27" التابع لـ"قوات الحشد الشعبي" بعد عام 2014 إلى أن تم تعيينه مدير الاستخبارات في "الحشد" عام 2016. وقد طوّر أبو إيمان فرع الاستخبارات التقنية لـ «كتائب حزب الله»، وهو مسؤول عن مجموعة من الملفات الحساسة. وعلى صعيد السياسة المحلية، يجمع مواد مثيرة للشبهة عن السياسيين ومدراء الوزارات وموظفي الأمن. وعندما اندلعت الاحتجاجات في تشرين الأول/أكتوبر 2019، أعدّ قوائم أهداف لناشطين في المجتمع المدني وصحفيين بالشراكة مع مسؤولي الاستخبارات السببرانية في "فيلق القدس" التابع لـ"الحرس الثوري الإيراني"، وخلية مكونة من 19 شخصاً مقرها بغداد مؤلفة من عملاء إعلاميين من «حزب الله» اللبناني. وتشمل مسؤولياته تحديد أهداف ضد أفراد ومواقع تعود للولايات المتحدة والتحالف والأكراد العراقيين.

حسين مؤنس جبار الحجامي (المعروف أيضاً بـ أبو علي العسكري، وأبو موسى) هو شخصية غامضة في «كتائب حزب الله» وأحد أعضاء الكادر الأولي من المقاتلين والذي احتجزته [القوات] الأمريكية في الفترة 2009-2010، وأُفرج عنه في الوقت نفسه مع أبو علاء اللواتي من "كتائب سيد الشهداء". ومؤنس هو عضو سابق في "مجلس الشورى"، عاش في إيران لفترة طويلة وتزوج من إيرانية. كما هو من قدامى العناصر في "العمليات الخاصة" ويتم وصفه على قنوات "تلغرام" التابعة لـ «كتائب حزب الله» بأنه رئيس أمن الجماعة. وفي خطوة غير معتادة بالنسبة لشخصية في مكانته، أصبح صاخباً للغاية في التعبير عن آرائه في أعقاب مقتل المهندس وتم تحديده بالإسم من قبل الراحل هشام الهاشمي وحتى تصويره أيضاً. ومنذ ذلك الحين، حاول حسين مؤنس تمويه الصورة من خلال إنكار أنه أبو علي العسكري، ولكن من دون نجاح.

أما الشخصيات البارزة الأخرى في «كتائب حزب الله»، فهي في الغالب من الناطقين الرسميين باسمها. محمد محيي هو المتحدث الرسمي العام باسم «الكتائب»، وجعفر الحسيني هو المتحدث العسكري باسم "كتائب حزب الله - العراق". وتستعين الجماعة بالسيد الدكتور جاسم الجزائري كمتحدث باسمها ويترأس على الأرجح قسم الإعلام فيها. لكن الأعضاء الآخرين في «الكتائب» حذروا تجاه عدم الكشف عن هويتهم.

على سبيل المثال، تحافظ «كتائب حزب الله» على إخفاء هويات قادتها الثلاثة لألوية "الحشد الشعبي" (الألوية 45 و 46 و 47) جيداً. وقد تكتُفت هوية كل واحد من قادة «كتائب حزب الله» بدرجة محدودة بسبب توليه منصب قائد مديريةية في "قوات الحشد الشعبي" (ما يضمن بشكل شبه مؤكد ظهور وجهه إلى العلن). وأدى تورط «كتائب حزب الله» في حملة القمع ضد المحتجين العراقيين إلى انكشاف هوية عدد قليل من قادة الأمن الإقليميين التابعين للجماعة. وفي بعض الأحيان يتم تحديد هوية أحدهم خلال أدائه واجباته مع قوات الأمن

العراقية الرسمية. وتمّ تحديد هوية شخصية دينية وقانونية مهمة واحدة على الأقل ضمن «كتائب حزب الله»، وهو محمد الصافي، رجل دين مقيم في كربلاء وهو أيضاً المرشد الديني لـ «كتائب سيد الشهداء»، مما يسلط الضوء على أن الجماعتين تتشاركان الإرث ولديهما نظرة عالمية واحدة. غير أنه بشكل عام، تخفي «كتائب حزب الله» هوية قادتها بشكل فعال للغاية وتسمح فقط بانكشاف هوية المسؤولين الذين لم يعودوا يضطلعون بأدوار حساسة.

الجزء الرابع: الجوانب غير العسكرية لـ «كتائب حزب الله»

على غرار الحركات السابقة التأسيس مثل «حزب الله» اللبناني و«المجلس الأعلى للثورة الإسلامية» في العراق، نفذت «كتائب حزب الله» أنشطة غير عسكرية مهمة بدلاً من أن تكون جهة فاعلة عسكرية بحتة. وتفصل الأقسام التالية البنية التحتية والمؤسسات غير العسكرية التي صمدت بعد مقتل المهندس.

أنشطة المجتمع المدني الخميني

يمثل الجانب المدني من «كتائب حزب الله» بإدارة جعفر الغانمي (أبو إسلام) بديلاً للنموذج العراقي السائد للكتل السياسية ذات الميليشيات المرتبطة بها مثل «منظمة بدر»، و«كتلة الأحرار» بزعامة مقتدى الصدر، و«كتلة صادقون» التابعة لـ «عصائب أهل الحق». ويعود السبب في ذلك إلى أن «كتائب حزب الله» ليس لديها كتلة نيابية، بخلاف كافة الفصائل الرئيسية الأخرى المدعومة من إيران. وعوضاً عن ذلك، لدى «الكتائب» مجموعة كاملة من المؤسسات التي تقوم بتجنيد المثقفين والنساء والشباب من الشيعة باستخدامها الإيديولوجيا الخمينية. وفيما يلي تعداد لأبرز هذه المؤسسات، ولكن هناك العديد من المؤسسات والمنصات الإعلامية [المماثلة] الأصغر حجماً:

«مؤسسة الزينبيات» تعرّف عن نفسها على أنها مؤسسة ثقافية إسلامية للنساء والفتيات بدأت تعمل منذ عام 2012 على أقل تقدير وربما تعود إلى عام 2008. وهي مؤسسة خمينية تشجّع النساء على توجيه أسرهن نحو ما تعتبره تقاليد المجتمع العراقي والإسلامي، كما تشجعهن على إنجاب الأطفال والاضطلاع بدور تقليدي ضمن الأسرة. ولديها فرقة تضطلع بالحثد الجماعي قادرة على تنظيم مشاركة النساء في الاحتجاجات.

«جمعية كشافة الإمام الحسين» («كشاف الإمام الحسين») هي منظمة خمينية فرعية للجناح المسلح لـ «كتائب حزب الله»، تقوم بإعداد الأطفال والشباب للخدمة العسكرية ضمن «الكتائب». ويبدو أن المنظمة تأسست عام 2011، وهي تعكس ممارسات التنظيمات الشيعية شبه العسكرية الأخرى («الباسيج» الإيراني و«حزب الله» اللبناني وجماعة «أنصار الله» اليمنية) من خلال إقامة أنشطة رئيسية في إطار مخيمات صيفية للشباب في بغداد والبصرة والنجف ولبنان وإيران. ولسنوات عديدة، ارتبطت كشاف «كتائب حزب الله» بقائد عسكري معروف باسم أبو طالب السعيد الذي اشتهر بمجاهرته بأرائه. والجدير بالذكر أن منصات «تلغرام» التابعة لـ «كتائب حزب الله» تشجّع أيضاً الشباب على الإبلاغ عن تحركات القوات العسكرية الأجنبية كجزء من «خلية الظل» في «كتائب حزب الله».

"النخبة" الأكاديمية هي منظمة خمينية تتخذ من حرم الجامعة مقراً لها وتسعى إلى إعداد جيل جديد من أعضاء «كتائب حزب الله» المثقفين جيداً والأخصائيين الذين لديهم ميول نحو الجماعة. وتقوم بتنظيم زيارات متبادلة وتقدم منحاً دراسية أطول مدّة في جامعات في لبنان وإيران، وتعطي دروساً باللغة الفارسية. كما توفّر "النخبة" تدريباً شبه عسكري ومتعدد الوسائط.

"هيئة المساجد والحسينيات" و"إدارة العقيدة" في «كتائب حزب الله» هما مؤسستان خمينيتان تناقشان العقيدة الدينية في المؤتمرات، وتنشران دراسات متعلّقة بالإسلام، وتخلدان ذكرى الشهداء.

"مركز الهدف" و"مركز المصباح" هما تجمعان لمراكز أبحاث ومكتبات خمينية تركز على النظرية السياسية، ولا سيما عقيدة ولاية الفقيه للحكم الديني الممارس في إيران. ولدى هذين المعهدين شبكة من المكتبات وصلات العرض والمعارض التي تؤبّن شهداء «كتائب حزب الله» و"قوات الحشد الشعبي" وتحيي ذكرى عدة أحداث مثل "يوم القدس" السنوي.

وتملك «كتائب حزب الله» أيضاً إمبراطورية إعلامية حقيقية، تم بناؤها بمشورة ودعم فني من «حزب الله» اللبناني. وتشمل هذه الإمبراطورية قناة تلفزيونية فضائية مقرها بيروت ("الاتجاه") وإذاعة ("الاتجاه" و"راديو الكوثر") وصحيفة ("المراقب العراقي")، إلى جانب شبكة واسعة من المواقع الإلكترونية، وقنوات "تلغرام"، ومنصات أخرى للتواصل الاجتماعي، ومؤسسات تابعة ضمن "محور المقاومة" الأوسع (مثل "شبكة الإعلام المقاوم" ومنصة "معلومات القتال المركزية"). ومن المحتمل أن يكون النشاط الإعلامي الكبير لـ «كتائب حزب الله» والطلب الناتج على المواد [الإعلامية] هو أحد أسباب وجود هذا العدد الكبير من المتحدثين البارزين باسم الجماعة - محمد محيي المذكور سابقاً، والشيخ جعفر الحسيني، والشيخ جاسم الجزائري - إلى جانب أبو علي العسكري، الذي لا يعتبر متحدثاً رسمياً فحسب بل يتمتع بمكانة إعلامية واسعة أيضاً.

الأنشطة الاقتصادية لـ «كتائب حزب الله»

على الرغم من أن «كتائب حزب الله» لطالما كانت القوة الشريكة الأساسية لـ"فيلق القدس" التابع لـ"الحرس الثوري الإيراني" في العراق، إلا أن ذلك لا يؤدي بالضرورة إلى تمتعها بمركز الصدارة في مخططات جني الأموال الضخمة للفصائل. وكان المهندس يُتهم أحياناً بالانحياز بشكل خاص إلى «كتائب حزب الله»، حيث تم إعطاء الأولوية لمجنديهما لإدراجهم ضمن الأعداد المسجلة في "قوات الحشد الشعبي" (بالمقارنة مع الفصائل الأخرى التي كانت تضم أعداداً كبيرة من المتطوعين غير المسجلين، وبالتالي عدم تقاضيهم رواتب). لكن عموماً، كان يتم تقاسم الغنائم الاقتصادية بحذر بين الميليشيات العراقية التي كانت تخضع أساساً لإشراف المهندس وسليمانى اللذين حرصا على التوازن. ويتم تقسيم الغنائم من خلال نظام "الوكالة" (أي ممثلي كل ميليشيا في الوزارات والفروع الحكومية والحكومة المحلية). وترتبط معظم الأموال غير الشرعية التي تحقّقها الميليشيات في العراق ارتباطاً وثيقاً بالسيطرة على الأراضي والبنية التحتية، وهذا أحد أسباب استمرار وجود مناطق نفوذ جغرافية مخصصة للميليشيات في المناطق السنية "المحررة" في غرب وشمال العراق، وحتى داخل مدينة بغداد.

وتعتبر المؤسسات أيضاً ميداناً رئيسياً: على سبيل المثال، كان لقائد "كتائب الإمام علي"، شبلى الزبيدي الذي صنفته الولايات المتحدة على لائحة الإرهاب، مصلحة خاصة في وزارة الاتصالات وعقودها؛ ومؤخراً أصبحت "كي كارد"، البائع الرئيسي لخدمة الدفع الإلكتروني لاشتراكات الضمان الاجتماعي، موضع شبهة من ناحية استغلالها من قبل الميليشيات في مخططات تم فيها خلق مستفيدين مزيفين بأعداد كبيرة.

وبخلاف الميليشيات الأكثر تقليدية القائمة على المحسوبية، من الأصعب بكثير رسم صورة للأنشطة الاقتصادية لـ «كتائب حزب الله». ويبدو أن العديد من قادة «الكتائب» يلعبون دوراً اقتصادياً، مما يشير إلى موارد كبيرة ولكن أيضاً إلى قواعد سلطة متعددة ضمن قنوات التمويل الخاصة بهم. وكما ذكرنا سابقاً، يدير عدنان المحمداوي "الهيئة الاقتصادية" في «كتائب حزب الله»، التي تتركز أنشطتها الرئيسية في بغداد والبصرة. وفي الوقت نفسه، يبدو أن لدى الأمين العام لـ «الكتائب» أبو حسين وشريكه المقرب أبو زينب اللامي مكتباً اقتصادياً منفصلاً أيضاً، وربما يتعلق الأمر بالأجور المحوَّلة من "فيلق القدس" التابع لـ "الحرس الثوري الإيراني". ويضطلع الشيخ جاسم السوداني (أبو أحمد) بدور أمين صندوق «الكتائب» ويوزع الأموال على أعضاء الجماعة ومؤسساتها. وفي المرتبة الثانية، هناك 3 شخصيات أخرى في «كتائب حزب الله» تضطلع بدور مالي، وفقاً لبعض التقارير: أحمد العيساوي (أبو حسنين)، والشيخ عدنان المالكي وخالد إسماعيل (أبو مصطفى)، وهم مسؤولون عن جمع الأموال من أعضاء «الكتائب».

ومن بين الحالات النادرة المعروفة عن تعاطي «كتائب حزب الله» الشأن التجاري، نذكر الرواية القديمة العهد حول الخدمات الأرضية في "مطار بغداد الدولي". فبين 2018 و 2019، أقيمت «كتائب حزب الله» نفسها لإدارة خدمات المناولة الأرضية، وجمع الرسوم، واستراحة كبار الشخصيات، وفندق المطار. وإلى جانب استغلال العقود للسيطرة على مواقع حساسة - مثل برج مراقبة الحركة الجوية، وللمفارقة على طريق "كيلومتر واحد"، وهو الطريق الخاص لكبار الشخصيات الذي قتل فيه سليمان والمهندس - سعى مفاوضو «كتائب حزب الله» للحصول على حصة بنسبة 20 في المائة من الإيرادات. وحاولت «الكتائب» إخفاء انخراطها طوال الوقت، من خلال الانتقال من شريك تجاري إلى آخر؛ وتوظيف مسؤول حكومي للضغط دون قصد نيابة عن «كتائب حزب الله»؛ واستهداف مُقَدِّم عرض منافس في أحد أحياء النخبة الأكثر حصرية والمحمية جيداً في النجف بتفجير بهدف ترويجه. وللتأكيد على أن «كتائب حزب الله» عرضة للانكشاف، أرغمت الحكومة العراقية هذه الجماعة في أواخر أيلول/سبتمبر 2020 على إغلاق مكاتبها المعروفة في المطار وتم استبعاد شركائها من مختلف الوظائف في المطار، واستبدالهم بشركات مرتبطة بالتيار الصدري.

وهناك حالة أخرى تلقي ضوءاً مثيراً للاهتمام على أسلوب العمل السياسي والاقتصادي لجماعة «كتائب حزب الله»، وهي قضية فلاح الجزائري، محافظ بغداد لمرّة واحدة، وهو مصدر محتمل رئيسي للعقود المدنية. ووفقاً للعديد من جهات الاتصال المخولة ذات الخبرة المباشرة بالتحقيقات العراقية، عندما واجه الجزائري قرار إقالته بسبب معارضة داخل مجلس المحافظة، حذرت «كتائب حزب الله» معارضة قائلة: "فلاح ينتمي إلينا. دعوه وشأنه. إن مسيّم بفلاح، تمسون بنا". وما توحى به هذه الحالة، والتي أشار إليها مجموعة من المستطلعين مع المؤلف، هو أن «كتائب حزب الله» تدير شبكة نفوذ مخفية تقوم على رعاية سرية وشراكة وابتزاز وتهريب - وهو جانب مخفي مهم من «الكتائب» لا يتناسب مع مستويات العضوية التي حددها حمدي مالك على غرار الخال والمعلم والأجسام والأرقام.

الجزء الخامس: البنية التحتية والأدوار العسكرية لـ «كتائب حزب الله»

كما يوحي الجزء أعلاه، بدت «كتائب حزب الله» تاريخياً أقل تركيزاً على مخططات جني الأموال القائمة على الرشوة من الواقع المعتاد السائد بين الفصائل، مع صب اهتمامها بشكل أكبر على المحافظ والأراضي الاستراتيجية. وقد يتجلى هذا التركيز الاستراتيجي في تركيزها الجغرافي الذي يقتصر في الغالب على منطقة على شكل مثلث بين قاعدة «كتائب حزب الله» في جرف الصخر (جنوبي بغداد) ومركزي العبور الحدوديين بين العراق وسوريا في عكاشات (الذي يتخطى الموقع العسكري المدعوم من الولايات المتحدة في التنف) والقائم (المجاور لمدينة البوكمال في سوريا). وصحيح أن ما يسمى بـ"الجسر البري" بين إيران وسوريا الخاضع لسيطرة الأسد ليس أغنى منطقة من الناحية التجارية في العراق - بل بعيد كل البعد عن ذلك - ولكنه ذو أهمية حيوية لإيران، و"محور المقاومة" والولايات المتحدة وإسرائيل.

معقل جرف الصخر

يُعتبر موقع جرف الصخر، الذي يبعد 40 كيلومتراً جنوب غرب بغداد، المركز العسكري الرئيسي لـ «كتائب حزب الله» وقد تمت مناقشته بالتفصيل في دراسة سابقة نشرها المؤلف في "سي تي سي سنينيل". وإذ إنه مبني على [أراضي] قرى طرد منها السكان السنة ولم يُسمح لهم بالعودة، أصبح الجرف بمثابة مقاطعة حصرية خاصة بـ «كتائب حزب الله» لا يمكن للقوات الحكومية دخولها، وحيث استحوذت «الكتائب» رسمياً على حقوق استخدام الأراضي من الحكومة. إنه الموقع الذي يضم سجون خاصة كبيرة أقامتها «الكتائب» (تضم أكثر بكثير من ألف معتقل بطريقة غير قانونية) إلى جانب منشأة إعادة تأهيل طبية للمقاتلين. ويتخذ اللواءان 46 و 47 ضمن "قوات الحشد الشعبي" من الجرف مقراً لهما.

ويشكّل الجرف مركزاً لمنشآت تصنيع الذخائر وتخزينها واختبارها تديره «كتائب حزب الله» في القوس الريفي الجنوبي من بغداد، وفي بعض الحالات تعيد استخدام مواقع صناعية عسكرية تعود لحقبة صدام. وبذلت الجماعة جهداً من أجل حظر تحليق الطائرات الأمريكية بدون طيار فوق جرف الصخر اعتباراً من آذار/مارس 2019، قبل أشهر من استخدام الموقع لإطلاق طائرتين بدون طيار محمّلتين بالمتفجرات باتجاه محطتي ضح أنابيب نفط سعوديتين في 14 أيار/مايو 2019. وقد استهدفت الضربات الجوية الأمريكية في 13 آذار/مارس 2020 على منطقة الجرف مواد وصفقتها الولايات المتحدة بأنها "موقع لإنتاج المتفجرات الدافعة وتخزين الأسلحة التقليدية المتطورة في جرف الصخر"، و"منشأة «اليوم الأزرن» لاختبار محركات الصواريخ"، و"موقع تخزين الأسلحة الإرهابية في المسيب"، و"موقع تخزين الصواريخ الإرهابية في هور العرب" و"موقع تخزين قذائف الهاون الصاروخية المرتجلة في الجرف".

وفي 13 آذار/مارس 2020 أيضاً، قصفت الولايات المتحدة موقعاً على مسافات أبعد إلى الغرب أطلقت عليه إسم "موقع تخزين الأسلحة التقليدية المتطورة التابع لـ «كتائب حزب الله» في كربلاء"، والمتواجد في نفس موقع مطار كربلاء غير المكتمل وحيث أفادت بعض التقارير أنه تمّ استهداف عناصر من لواء "عتبات" من "قوات الحشد الشعبي" لا ينتمون إلى «كتائب حزب الله» مما أسفر عن إصابة ثلاثة مدنيين. كما تدّعي «كتائب

حزب الله» أنها تدير "منشأة صواريخ متوسطة المدى" في عين التمر (70 كيلومتراً غرب كربلاء، جنوب غرب بحيرة الرزازة) ومصنعاً للذخائر في الزعفرانية (خارج مدينة بغداد، على بعد 10 كيلومترات من الجهة الجنوبية الشرقية). واعتقلت الحكومة العراقية أحد المشتبه بهم من مقاتلي «كتائب حزب الله» متخصص بالصواريخ بالإضافة إلى 13 عنصراً آخر من «الكتائب» في 25 حزيران/يونيو 2020، في موقع لتخزين الصواريخ في البوعينة على بعد 20 كيلومتراً جنوبي بغداد.

قواعد «كتائب حزب الله» في الأنبار غربي العراق والبوكمال

لقد عملت «كتائب حزب الله» جاهدة لتعزيز وجودها في الأنبار، وهي منطقة غربية عنها تماماً حيث لا يوجد فيها سكان شيعة تقريباً. وكانت «الكتائب» تنتشر في الأنبار الغربية منذ عام 2013، واستخدمت المنطقة للوصول إلى ساحات القتال السورية. ورغم أن الأنبار تقع نظرياً تحت قيادة مقر عسكري بثلاث نجوم (قيادة عمليات الأنبار) و"قوات الحشد الشعبي" (قيادة أو محور عمليات غرب الأنبار)، إلا أن هناك أيضاً منطقة أساسية تخضع لسيطرة «كتائب حزب الله» (والتي تطلق عليها الجماعة اسم "قيادة عمليات الجزيرة" التابعة لـ «كتائب حزب الله») تمتد عبر منطقة الجرف - عكاشات - القائم. وفي هذه المنطقة، بذلت «الكتائب» جهوداً كبيرة لدحر الخصوم (على سبيل المثال، الإطاحة بقائد "قيادة عمليات الأنبار"، والمركزين الجمركيين في عكاشات والقائم)، وبناء شبكات نفوذ سرية. كذلك، طورت «الكتائب» شبكة كبيرة من المخبرين ومصادر النفوذ في الأنبار تمتد عبر "قيادة عمليات الأنبار"، و"شرطة الأنبار"، و"جهاز الأمن الوطني"، ومسؤولين في المحافظات والأحياء وفرقتي الجيش العراقي 8 و 14.

وتم تفصيل قواعد «كتائب حزب الله» والميليشيات المتحالفة معها في الأنبار الغربية في دراسة أجراها المؤلف في آب/أغسطس 2019 ضمن منشورات "سي تي سي سننيل". وتتألف من قاطعين فرعيين: معبر القائم الحدودي الشرقي على نهر الفرات، مقابل مناطق البوكمال في سوريا، وقاطع عكاشات الفرعي الغربي (مقره في الرطبة). والمقر الرئيسي لـ «كتائب حزب الله» في القائم هو قاعدة اللواء 45 في "قوات الحشد الشعبي"، وهو القوة القتالية النخبوية لـ «الكتائب»، وكانت قد استهدفتها القوات الأمريكية في 29 كانون الأول/ديسمبر 2019، مما أسفر عن مقتل قائده كاظم علوان (أبو علي الديبي). وتسيطر قوات «كتائب حزب الله» (وبشكل رئيسي من اللواء 46 ضمن "قوات الحشد الشعبي") على الطريق السريع 20 (الموازي للحدود العراقية-السورية بين القاطعين الفرعيين، والذي يمتد بين الطريق السريع والحدود. وتستخدم هذه المناطق الريفية، القريبة من ممر خط أنابيب النفط بين العراق وسوريا (وطريقه المحوري المشترك) لنقل القوى الصاروخية أو القذافية إلى سوريا. (تجدر الإشارة إلى أن غارة جوية (إسرائيلية على ما يبدو) تم تنفيذها سابقاً في 25 آب/أغسطس 2019 استهدفت مركبات كانت متمركزة في منتصف الطريق بين موقعين استهدفتها لاحقاً الولايات المتحدة في 29 كانون الأول/ديسمبر 2019، مما يظهر تركيز إسرائيل الشديد على سلسلة القواعد). أما قاعدة "الإمام علي" التابعة لـ «كتائب حزب الله»، فتقع عبر الحدود مباشرة، على بعد بضعة كيلومترات إلى الغرب من مركز الحصية الجمركي وتربطها مسارات مرصودة، مباشرة خارج مدينة البوكمال السورية. وبعد حملة حلب في نهاية عام 2016، ركزت «كتائب حزب الله - الجبهة السورية» جهودها العسكرية في سوريا على منطقة دير الزور وبلدة البوكمال، التي انتزعتها من قبضة تنظيم «الدولة الإسلامية» في أيلول/سبتمبر 2017. وفي 18 حزيران/يونيو 2018، ضربت إسرائيل «كتائب حزب الله» في البوكمال للمرة الأولى، حيث استهدفت مقرها الأساسي بالقرب من الحدود، ومن ثم قصفت قاعدة "الإمام علي" في 8

أيلول/سبتمبر 2019، و 5 كانون الثاني/يناير 2020 و 11 آذار/مارس 2020. وأصابت الضربة الأخيرة 15 منشأة في منطقة البوكمال الأوسع نطاقاً، بما فيها مستودعات في قاعدة "الإمام علي"، وموقع آخر لـ «الكتائب» في الحي الصناعي، وموقع لـ «الفاطميون»، وقاعدة "حركة حزب الله النجباء" في بلدة البوكمال، وقاعدتان لـ «كتائب سيد الشهداء" جنوب شرق بلدة البوكمال. ووفقاً لتقارير صحفية تستند إلى صور الأقمار الصناعية، ربما تضم قاعدة "الإمام علي" منشآت كبيرة تحت الأرض، قد تشمل نفقاً إلى الجانب العراقي من الحدود. وفي الميادين، التي تبعد 50 ميلاً شمالي البوكمال، أفادت بعض التقارير أن «كتائب حزب الله» تملك مستودعات أخرى في موقع يدعى "الحيدرية".

وقد تكون «كتائب حزب الله» قد نفذت عمليات في جنوب الأنبار أيضاً. وعلى الرغم من أنها تقع إسمياً ضمن منطقة مسؤولية «العتبات» (الخط الحدودي الأنبار-كربلاء/النجف)، إلا أن عناصر «كتائب حزب الله» كان لها وجود في بلدة النخيب منذ عام 2011، وهي البلدة التي تسيطر على طريق التجارة السريع إلى السعودية وتشكل ممراً جانبياً مهماً حول بغداد وصولاً إلى سوريا. ووفقاً لبعض التقارير، سُلمت النخيب إلى «كتائب حزب الله» لتصبح منطقة عملياتها الحصرية في عام 2016، وعندئذ سيطرت على جميع المواقع العسكرية الرئيسية الستة في البلدة. وبالإضافة إلى الشائعات القوية حول احتمال استخدام النخيب كموقع لتدريب الإرهابيين السعوديين الشيعة المدعومين من إيران، فربما استُخدمت أيضاً كمنصة لإطلاق هجمات بطائرات بدون طيار على منشآت النفط السعودية.

وعلى الرغم من الاستثمار الكبير الذي قامت به «كتائب حزب الله» في الأنبار، يمكن القول إنها لم تتمكن من السيطرة على البيئة بالكامل كما كانت تأمل. فكلا الموقعين الأمريكيين "الأسد" و"النتف" لا يزالان قائمين؛ وموظفو "جهاز مكافحة الإرهاب" والجمارك العراقيون يعودون إلى القائم؛ والقوات العراقية المحلية أصبحت تضم في صفوفها قادة مؤهلين؛ والمجتمعات المحلية في المناطق المأهولة بالسكان من الأنبار بدأت بالاحتجاج على مدى انتشار الميليشيات وسيطرتها على الأراضي. والأهم من ذلك، أظهرت الهجمات الإسرائيلية والأمريكية أن الأنبار عرضة بشدة للهجمات الجوية، مما دفع بإيران وميليشياتها إلى سحب بعض الأصول المهمة إلى جنوبي العراق في الفترة 2019-2020.

الجزء السادس: امتداد القوة والصواريخ

خلال فترة ولاية المهندس على رأس الفصائل العراقية، بدأ "فيلق القدس" التابع لـ "الحرس الثوري الإيراني" يستعرض قوته أمام أعدائه انطلاقاً من العراق. فبالإضافة إلى ضرب أهداف أمريكية وغربية أخرى في العراق وتعزيز قوات أخرى ضمن "محور المقاومة" في سوريا، تم استخدام العراق كنقطة انطلاق لشن هجمات تستهدف دول الخليج التي يقودها السنة. وأصبحت منشآت تدريب الإرهابيين وأنظمة الصواريخ بعيدة المدى جاهزة للعمل على الأراضي العراقية. وتم ربط اسم «كتائب حزب الله» باعتداءات رئيسية على غرار الهجمات على السعودية بطائرات بدون طيار في 14 أيار/مايو 2019 ودعم الجماعات المسلحة في البحرين، ولكن هناك مؤشرات على أن فصائل عراقية أخرى (أمثال "سرايا الجهاد"، أنظر أدناه) تعمل الآن أيضاً على هذه المحافظ.

الصواريخ والطائرات بدون طيار الإيرانية

يتمثل المركز الرئيسي للصواريخ الإيرانية في العراق حالياً بمثلث ميسان - ذي قار - واسط، وليس غرب الأنبار؛ علماً بأن نظام تخزين الصواريخ مبني حول علاقة طويلة الأمد بين قائد "سرايا الجهاد" (اللواء 17 في "الحشد الشعبي") حسن الساري (اسمه الحقيقي حسن راضي كاظم كاطع الساري) واللواء أحمد فروزنده من "فيلق القدس" التابع لـ"الحرس الثوري الإيراني"، الذي تولى قيادة محور جنوب العراق لعمليات "فيلق القدس" في العراق منذ عام 2002. وعلى الرغم من أنه ليس عضواً في «كتائب حزب الله»، عمل حسن الساري كمسؤول لوجستي رئيسي في جنوب العراق ضمن "الجماعات الخاصة" ومن ثم «كتائب حزب الله» منذ مطلع العقد الأول من القرن الحالي، حيث اضطلع بدور مهم في كل من "الجماعات الخاصة" و"شبكة الشيباني". أما المسؤول اليومي عن القوى الصاروخية في "فيلق القدس" التابع لـ"الحرس الثوري الإيراني" في العراق، فهو حمد محسن مجبر (أبو إيمان الدراجي)، الذي يضطلع أيضاً بدور اسمي كمدبر الاستخبارات في "قوات الحشد الشعبي" في البصرة.

والآن يتم نقل القذائف والصواريخ الأكبر حجماً من إيران إلى العراق كأجزاء، حيث يتم تجزئتها عند الإمكان إلى رأس حربي ووقود وجسم، مما يسمح باستخدام مركبات أصغر حجماً وأقل إثارة للشك (مثل ناقلات المياه أو النفط) وحاويات شحن أصغر حجماً. ويُعتقد أن الأنواع المتقدمة داخل العراق تشمل "خيبر-1" (302 ملم، 65 ميلاً)؛ و"بدر-1" و"بدر-1 بي" (صاروخ 210 ملم، مدى 90 ميلاً)؛ وربما [صاروخ] "رعد-500" (ذو القدرة التفجيرية العالية الذي يبلغ وزنه 1100 رطل ومداه 350 ميلاً). وغالباً ما يتم تخزين الرؤوس الحربية وأجسام الصواريخ بشكل منفصل في مواقع في كُميت (بالقرب من العمارة) والبطحاء (بالقرب من الناصرية) والنعمانية (بالقرب من الكوت)، حيث لكل موقع شبكة نقاط منتشرة على الأقمار الصناعية وورش عمل لتجميع القذائف أو الصواريخ. ويتم إبقاء طاقم عمل من مُجمعي الأسلحة ذوي الكفاءة التقنية بدوام كامل ضمن شبكة أبو إيمان الدراجي، وتتم مكافأتهم على مهاراتهم وولائهم من خلال منحهم منزلاً، وراتب بدوام كامل، إلى جانب تغيير هواتفهم بشكل دائم. ويسلط مثالا الساري والدراجي الضوء على كيف أن العلاقات الشخصية غالباً ما تتخطى العلامات التنظيمية سريعة الزوال. فإيران قادرة تماماً على الجمع بين شبكتين متجاورتين - الساري/الدراجي و«كتائب حزب الله» - للتحكم في قواتها الصاروخية في العراق.

دعم الإرهابيين الأجانب

تتمثل الآلية الثانية لاستعراض القوة من العراق في تدريب وتسليح إرهابيين ومقاتلين خارج البلاد. وكما كتب مات ليفيت في "سي تي سي سنينيل" في شباط/فبراير 2020، فإن التحوّل إلى "المقاتلين الشيعة غير الإيرانيين وغير اللبنانيين" هو على الأرجح تطوّر للمهارات في العمليات الخارجية المدعومة من إيران. ومرة أخرى، تتشارك «كتائب حزب الله» هذه المحفظة مع مجموعة من الشركاء الموثوقين في "فيلق القدس" التابع لـ"الحرس الثوري الإيراني". وتردد أن «كتائب حزب الله» شاركت في التدريب الإعلامي، والعسكري، وفي تسليح مقاتلين بحرينيين، وربما سعوديين أيضاً، كما ذكر المؤلف ومات ليفيت بالتفصيل في "سي تي سي سنينيل" في كانون الثاني/يناير 2018. ويبدو أيضاً أن أبو إيمان الدراجي لاعب رئيسي في استضافة وتدريب متطوعين أجانب من دول الخليج واليمن، حيث يشغل ما يعتقد المؤلف أنه أكبر موقع لتدريب المقاتلين الأجانب المدعومين من إيران في كُميت بميسان.

ويبدو أن حسن الساري وأبو إيمان الدراجي يضطلعان أيضاً بدور في نقل عتاد خاص بـ"فيلق القدس" التابع لـ"الحرس الثوري الإيراني" من إيران إلى أم قصر في البصرة - العراق، ومن ثم إلى عُمان، من أجل نقله لاحقاً إلى اليمن. وقيل للمؤلف أن عمليات "فيلق القدس" التي تركز على الأردن تستخدم عمليات استيراد وتصدير السيارات التي كان ينفذها شبل الزبيدي المصنّف إرهابياً من قبل الولايات المتحدة كغطاء لاستكشاف أهداف سياحية إسرائيلية في الأردن واستطلاع نقاط العبور الحدودية لشحن المتفجرات عبر وادي أسد، الذي يربط بين الأردن والعراق.

ويواصل أبو مصطفى الشيباني أيضاً لعب دور في العمليات الخارجية انطلاقاً من قاعدة عراقية، حيث يعمل مع "وزارة الاستخبارات والأمن الوطني" [جمهورية إيران الإسلامية] (أو "اطلاعات") بشكل منفصل عن "فيلق القدس" التابع لـ"الحرس الثوري الإيراني"، ويركّز على تطوير قدرات الاختراق الاستخباراتي واللوجستي لدول الخليج.

الجزء السابع: دور «كتائب حزب الله» في السياسة المحلية

في ظل قيادة سليمانى والمهندس، أصبحت «كتائب حزب الله» طليعة شبكة ميليشيات أو شكت على بسط هيمنتها على الحكومة العراقية في أواخر صيف 2019. ومنذ ذلك الحين، ساهمت الاحتجاجات الشعبية، ومقتل سليمانى والمهندس، وتعيين رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي في عكس مسار المكاسب التي حققتها هذه الميليشيا. وكما أظهرت «كتائب حزب الله» في الأشهر الأولى من عام 2020، فهي لا تخشى من التأثير على السياسة الوطنية وإملاء تفضيلاتها على القضايا الأساسية مثل اختيار رئيس وزراء العراق، ولم تتردد في تهديد رئيس الوزراء العراقي جسدياً. وحتى الآن، لم يحقق ترهيبها السياسي الكثير، ولكن في ظل الانتخابات العراقية المقرر إجراؤها في 2021 أو 2022 - ومع تزايد الضغوط المحلية والدولية لكبح جماح الميليشيات - ربما تختار «الكتائب» وشركاؤها أن تواصل محاربة الإصلاحات بشكل مباشر. فما هو الدور الذي قد يُتوقع أن تلعبه «كتائب حزب الله» في العنف السياسي المحلي؟

تهديد «كتائب حزب الله» للحكومة العراقية

كما بدا في استعراض «كتائب حزب الله» لقوتها أمام مقر إقامة رئيس الوزراء العراقي مباشرة في 25 حزيران/يونيو 2020، يمكن لـ «الكتائب» أن تجمع وتنشر بسرعة "قوافل سريعة" من المقاتلين وتضعهم في شاحنات صغيرة "عملية" (غالباً محملة بمدافع رشاشة ثقيلة وحتى مدافع عيار 23 ملم) وقيادتهم إلى قلب "المنطقة الدولية". وعندما اعتقلت الحكومة العراقية 14 عضواً من «كتائب حزب الله» الذين يخدمون اسماً ضمن "قوات الحشد الشعبي" في وقت سابق من ذلك اليوم، كان ردّ أبو فديك على الطريقة القبلية: من أجل استعراض القوة، جمع أفراداً من وحدة أخرى من قاعدة المحتجزين في البوعبيثة من أجل استعادة رجالهم. ويمكن لـ «الكتائب» أن تسحب مقاتلين من مقرها داخل "المنطقة الدولية"، رغم أنه من الجدير ذكره أن أبو فديك أتى بمعظم أفراد قوافله في 25 حزيران/يونيو 2020 من خارج المنطقة، مما يشير إلى أن الأعداد الأولية للمقاتلين داخل "المنطقة الدولية" ربما تكون أقل مما تم الإبلاغ عنه بشكل ملفق.

وفي بغداد الكبرى، يمكن أن تعتمد «كتائب حزب الله» على أنصارها في العديد من مواقعها في منطقة شارع فلسطين (شرق نهر دجلة، بالقرب من ساحة التحرير)، بما في ذلك المسجد الرئيسي لـ «الكتائب»، مسجد «بقية الله». (تجدر الملاحظة أن «شارع فلسطين» هو الشارع الذي هرب إليه مقاتلو «الكتائب» طلباً للحماية بواسطة خمس سيارات مسروقة بعد أن اشتبكوا في تبادل لإطلاق النار مع الشرطة في عام 2018). وفي أماكن أبعد، يمكن لـ «كتائب حزب الله» الاعتماد على التعزيزات والأسلحة الثقيلة من حوالي 24 مركزاً عسكرياً ونقطة تفتيش في ضواحي بغداد ومن مجمع قاعدة جرف الصخر، الذي يبعد مسافة ساعة في السيارة. ومع ذلك، ففي أي مواجهة مع الحكومة العراقية، لا يزال أقوى سلاح تتمتع به «الكتائب» هو "عامل الخوف" الذي تبثه في نفوس القادة العسكريين العراقيين الذين يقفون في طريقها - ألا وهو إن لم تستهدفك «كتائب حزب الله» اليوم، فستقتلك بالتأكيد يوماً ما إذا ما عارضتها. وتمثل هذه الشهرة مصدر قوتها ونفوذها ولا بدّ من دحرها.

دور «كتائب حزب الله» في قمع الاحتجاجات

رغم أن «كتائب حزب الله» لعبت دوراً مهماً في تنسيق واستهداف حملة القمع ضد الاحتجاجات في تشرين الأول/أكتوبر 2019، إلا أن الجماعة تركت عمليات القنص والضرب التي يتعرض لها المدنيون إلى "منظمة بدر" وفصائل أخرى إلى حد كبير. وركز عملاء «كتائب حزب الله»، أمثال أبو إيمان البهالي على استهداف قادة الاحتجاجات والاستفادة من العلاقات الفريدة مع الاستخبارات التقنية والسيبرانية الإيرانية وتلك التابعة لـ «حزب الله» اللبناني. وفي المستقبل، من المرجح أن تواصل «الكتائب» في التركيز على الجوانب الأعلى شأناً من القمع، مثل تحديد قادة الثورة وتعريض اتصالاتهم الإلكترونية للخطر. على سبيل المثال، في تشرين الأول/أكتوبر 2019، ساعدت «كتائب حزب الله» سراً في التبرع بلوحات الاحتجاج التي تحتوي على شرائح تحديد الهوية بموجات الراديو [وهي أجهزة تعقب ساكنة مماثلة لعلامات مكافحة السرقة في السلع أو كتب المكتبات] لتعقب المحتجين.

وفي مثال آخر على الدور المهم للشركاء الموثوقين ولكن الأقل ظهوراً إلى العلن من "فيلق القدس" التابع لـ "الحرس الثوري الإيراني"، ينبغي تركيز مزيد من الاهتمام على كاظم الجابري، قائد "سرايا عاشوراء" (اللواء 8 في "قوات الحشد الشعبي")، وكذلك إسمياً مدير التدريب في "الحشد". وحيث يعمل منتقلاً بين 3 منازل في بغداد ومزرعة عائلية سابقة لصدام في الدورة، جنوب بغداد، اضطلع الجابري بالدور القيادي في تحديد الشخصيات السياسية وشخصيات المجتمع المدني بهدف اغتيالها أو سجنها في بغداد (وفي البصرة، يلعب أبو مصطفى الشيباني الدور نفسه في استهداف الناشطين، وفي مناطق أخرى في جنوب العراق، يتولى عملية استهداف الناشطين جاسم المالكي، أحد مساعدي أبو إيمان الدراجي). ويدير الجابري سجناً سرياً في الناحية الجنوبية من شبه جزيرة الكرادة في بغداد والذي تعود ملكيته إلى حسن الساري و"سرايا الجهاد".

شبكات جديدة يمكن إنكارها

في حين أن فصائل مثل "سرايا طليعة الخراساني" و"كتائب سيد الشهداء" قتلت عراقيين علانية في الشوارع قبل عام، إلا أن قتلة قادة الاحتجاجات حالياً مجهولي الهوية على نحو متزايد. ويعود السبب في ذلك إلى أن

الحصانة التي تمتعت بها الميليشيات لم تعد مضمونة، وبالتالي يكتسي الإنكار أهمية مرة أخرى. وربما تنذر شبكة كاظم الجابري بالتطور المقبل للميليشيات العراقية في عرين "فيلق القدس" التابع لـ"الحرس الثوري الإيراني". ويبدو أن المرؤوس الرئيسي للجابري، سرحان تومان الشبلي، يركّز على تجنيد عناصر شابة ليس لديها سجل إجرامي ولم تقضي فترات سابقة في السجن (أي أنه لا توجد معلومات بيومترية خاصة بها في قواعد البيانات الأمريكية أو العراقية). وينفذ هؤلاء العملاء عمليات قتل مستهدفة مقابل مكافآت نقدية ومن ثم يتوارون عن الأنظار في مدينة مختلفة أو في الخارج لبضعة أشهر مع أجر شهري يبلغ حوالي 1500 دولار. ووفقاً للمقابلات التي أجراها المؤلف، يبدو أن نوعاً مماثلاً من الترتيبات يُستخدم في البصرة (على سبيل المثال، من قبل [حزب] "ثأر الله"، القتل المأجورين للشيباني) وفي جنوب العراق من قبل جماعة أبو إيمان الدراجي. كما أن هناك دلائل على أن «كتائب حزب الله» تطوّر علاقات "مستقلة" مع مجموعة من لجان حراسة الشوارع [لجان الأمن الأهلية] التي وصفها حمدي مالك بأنها "جماعات الشباب البلطجيين الموالية لإيران". ويسرد مالك هذه اللجان على النحو التالي: «"ربع الله"، "جبهة أبو جداحة"، "الزلم الخشنة"، "فريق فاطميون الميداني"، "جند سليمان"، و"شبيبة الصفوة"». وتعتدي هذه الجماعات على محطات تلفزيونية وحتى مكاتب الأحزاب السياسية التي تنتقد «كتائب حزب الله» وغيرها من الميليشيات. وكما أشار حمدي مالك، فإن المنظمات الاجتماعية في «كتائب حزب الله» على غرار الأعضاء الذين يُعرّفون عن أنفسهم بأنهم من مؤسسة "الزينية" النسوية، تشارك في عمليات إحراق متعمد كهذه، مما يشير إلى أنه يمكن أيضاً استغلال جماعات الشباب والطلاب الأخرى في «كتائب حزب الله» لحنها على اليقظة [توفير الأمن الذاتي].

ويبدو أن نموذجاً مشابهاً للغاية من تشكيل منظمات واجهة متعددة يمكن إنكارها يبرز من أجل شن هجمات على أهداف أمريكية وغربية أخرى. ومن وجهة نظر المؤلف، وبدعم من آراء شبكته الخاصة من المراقبين المقربين، لا تزال «كتائب حزب الله» القوة المحركة وراء الهجمات الصاروخية على مواقع التحالف وعلى شحنات مرتبطة بالتحالف، ولكن لا يمكنها تبني هذه الهجمات ويتعين عليها النأي بنفسها عنها بسبب تنامي الوصمة المحلية المحيطة بهذه الأفعال، التي تؤدي بحياة عراقيين أكثر من أجنبي، وتعدّد مساعي العراق للتعافي من جائحة "كوفيد-19" ومن انهيار أسعار النفط وإعادة علاقاته مع المجتمع الدولي إلى طبيعتها.

ويبدو أن قاسم سليمان تنبأ بهذه الحاجة قبل أشهر من مقتله. فمع بدء الاحتجاجات الكبرى في تشرين الأول/أكتوبر 2019 وحيث أصبح التصعيد مع الولايات المتحدة وشيكاً، أوصى بالتحول إلى هجمات يمكن التنصّل من مسؤوليتها. وبناءً على تقارير استقصائية مع مصادر عراقية، أفادت وكالة "رويترز" عن عقد الاجتماع التالي في تشرين الأول/أكتوبر 2019:

في فيلا بغداد [في تشرين الأول/أكتوبر 2019]، طلب سليمان من القادة المجتمعين تشكيل جماعة ميليشياوية جديدة من الفصائل شبه العسكرية غير المعروفة للولايات المتحدة والتي يمكنها تنفيذ هجمات صاروخية على الأمريكيين الموجودين في القواعد العسكرية العراقية. وقالت مصادر الفصائل التي أحبطت علماً بالاجتماعات إنه أمر «كتائب حزب الله» - وهي قوة أسسها المهندس وتدرّبت في إيران - بتوجيه الخطة الجديدة. وقال أحد مصادر الميليشيات لوكالة "رويترز" إن سليمان قال لهم إنه "سيكون من الصعب على الأمريكيين اكتشاف" مثل هذه الجماعة.

وقد يؤدي هذا إلى حد ما إلى تفسير وفرة الجماعات الجديدة المذكورة آنفاً التي تدّعي شن هجمات على أهداف أجنبية. واليوم، يقود هذا الجهد أحد مساعدي سليمان المقربين، المعروف باسم الحاج حامد، الذي أسس جماعة جديدة من مجندين عراقيين تحمل اسم "الوارثون" للتدريب في معسكر "فيلق القدس" التابع لـ"الحرس الثوري الإيراني" في دزفول في شمال غرب إيران. وفي أعقاب حروب ما بعد 2011 في سوريا والعراق، هناك الآن مجموعة كبيرة جديدة من المقاتلين الشباب ذوي الخبرة يمكن الاختيار من بينهم. وإذا ما تمّ حقاً في الآونة الأخيرة تعزيز جماعات على غرار الجابري، كما تشير التقارير، بشحنات من كاتمات الصوت، والبنادق المضادة للعتاد، وحتى "أنظمة دفاع جوي محمولة"، فإن الخطوط العريضة لبروز تهديد إرهابي أكثر سرية قد تظهر في العراق.

الجزء الثامن (الخاتمة): «كتائب حزب الله» والفصائل في عالم ما بعد المهندس

منذ أن صنفت الحكومة الأمريكية أبو مهدي المهندس و«كتائب حزب الله» على قائمة الإرهاب في اليوم نفسه عام 2009، اعتبرهما العديد من المحللين، بمن فيهم المؤلف، مترادفين. ومع ذلك، في حين ساهم المهندس في إنشاء «كتائب حزب الله» وأشرف على أنشطتها، إلا أن الاثنين أصبحا متميزين بشكل متزايد بعد انسحاب القوات الأمريكية من العراق في عام 2011. وقد مارس المهندس دوره السياسي كمنسق لكافة الميليشيات الشيعية العراقية، ولجميع مكونات «قوات الحشد الشعبي» في النهاية. وهذا يعني أن مقتله لم يوجه صفة لـ«كتائب حزب الله» فحسب، بل لكافة الجماعات، مما أدى إلى تخفيف روابطها، وإزالة آلية مهمة لحل النزاعات، وجعل السيطرة عليها أكثر صعوبة. أما أبو فدك، فهو لاعب من نوع مختلف تماماً: فهو أقل قدرة، وغير مقبول على نطاق واسع، وبالكاد يرتبط بـ«كتائب حزب الله»، وحتى أنه ليس مهيمناً فيها، ويحظى بدعم أقل نفوذاً من «فيلق القدس» التابع لـ"الحرس الثوري الإيراني".

وكما قال أحد مسؤولي المخابرات الأمريكية للمؤلف: "كان المهندس يعرف كيف يروّض العناصر المشاغبة في «كتائب حزب الله». كانوا يعرفون أنه من الأفضل عدم المجادلة معه. ومنذ مقتله، لم يعد بالإمكان ترويض «كتائب حزب الله». وذهب مسؤول في الحكومة العراقية تجمعه علاقات ممتازة بالجهات الفاعلة ضمن الفصائل إلى أبعد من ذلك قائلاً:

«كتائب حزب الله» هي جماعة جامحة. تقوم بالأمر على طريقها. مثل رعاة البقر. إنهم متهورون ودائماً ما يبحثون عن أنشطة جديدة يقومون بها في العراق وسوريا. أنشطة غير منسقة. وهذا ما يثير استياء الآخرين [الفصائل السياسية] الذين يعتقدون أن لديهم مستقبلاً في السياسة، لكنهم يخشون خسارة قاعدة ناخبهم المتشددين.

وتتجلى خسارة المشرف على «كتائب حزب الله» - المهندس، العسكري ورجل الدولة - في الانتكاسات التي تزدد وتيرتها حالياً: انهيار ولاية عادل عبد المهدي كرئيس للوزراء، والفشل في استبداله بسياسي آخر موالٍ لإيران، وتعيين الكاظمي رئيساً للوزراء، والآن نمط صارم من التعيينات والخطوات الحكومية لكبح الميليشيات. وعلى الرغم من أن «كتائب حزب الله» لا تزال القوة الأولى المعادية للولايات المتحدة في العراق وربما المرتبطة بنسبة كبيرة من الهجمات الصاروخية والقنابل المزروعة على جوانب الطرق مؤخراً ضد الولايات

المتحدة، إلا أنها فقدت ميزتها السياسية. فالجناح العسكري المهيمن ضمن «الكتائب» - أبو حسين وأبو زينب اللامي - لديه القليل من الروابط المستمرة بالعملية السياسية وذلك بعد مقتل المهندس، حيث أن القائدين ينتميان إلى تيار المقاومين إلى حد كبير (أي يلتزمان للغاية بمعسكر "المقاومة" العابر للحدود الوطنية والمعادي لأمريكا/إسرائيل/السعودية) ويتوقان بشكل خاص إلى طرد القوات الأمريكية من الشرق الأوسط والانتقام لسليمانى والمهندس وضحايا «كتائب حزب الله». وهناك مؤشرات مبكرة على أن «الكتائب» أصبحت معزولة ولا تستجيب للإشارات التي يرسلها شركاؤها، بمن فيهم إيران.

ومن الخيارات المتاحة أمام "فيلق القدس" التابع لـ"الحرس الثوري الإيراني" و"وزارة الاستخبارات والأمن الوطني" و«حزب الله» اللبناني هي "العمل المنفرد" [لتنفيذ] بعض أنشطتهم في بيئة الدولة الضعيفة في العراق. ومن خلال تكرار تاريخ المهندس و«كتائب حزب الله» وغيرهما من الفصائل المدعومة من إيران، يتضح أن القادة الإيرانيين واللبنانيين لم يعملوا بشكل غير مباشر فحسب، عبر توجيه نفوذهم من خلال المهندس أو مسؤول مركزي آخر. [بل] منذ البداية، عملوا أيضاً بشكل مباشر مع مجموعة من قادة الميليشيات العراقية وهم يفعلون ذلك بشكل متزايد. واليوم، يتمتع عملاء نافذون من «حزب الله» اللبناني مثل الأخوين كوثراني بالقدره على التأثير بشكل مباشر على العديد من الميليشيات في العراق، وحتى عناصر من التيار الصدري، كما أن الحزب يستخدم العراق بشكل متزايد كبقرة حلب. وبلاستفادة من مساعي المهندس المذكورة في منشورات "سي تي سي سنثينيل" في آب/أغسطس 2019، يمكن لـ"فيلق القدس" التابع لـ"الحرس الثوري الإيراني" التأثير بشكل مباشر على الميليشيات في شمالي العراق المؤلفة من مجموعة من الأقليات - الأكراد الشيعة (الفيليين) والتركمان الشيعة والإيزيديين والشبك (بشكل خاص) العرب السنة والتركمان. وقد تمرست الشركات الواجهة التابعة لـ"فيلق القدس" في استخدام المرافئ العراقية كما لو كانت امتداداً لإيران، وذلك بالشراكة مع أفراد عراقيين بخلاف الفصائل أو الميليشيات الرئيسية. ولا يتعين بالضرورة على إيران و«حزب الله» اللبناني العمل من خلال الفصائل العراقية لاستخدام العراق كمركز لاستعراض القوة وبإمكانهما توظيف عراقيين من أي طائفة أو عرق للعمل كعملاء أو إرهابيين.

ومن الواضح أن «كتائب حزب الله» ليست الجماعة الوحيدة التي يستخدمها "فيلق القدس" التابع لـ"الحرس الثوري الإيراني"، فبإمكانه أن يختار مزج بعض العناصر المألوفة وبعض العناصر الجديدة معاً لإنشاء جبهة مقاومة جديدة من نوعها في العراق. وقد استرعت هذه الدراسة الانتباه إلى قائدين لا ينتميان إلى «كتائب حزب الله» قد يبرزان كلاعبين أكثر أهمية في المستقبل: أبو إيمان الدراجي من "سرايا الجهاد" وكاظم الجابري من "سرايا عاشوراء". وتم تكليف كلاهما من قبل "فيلق القدس" بمهام رئيسية تشمل التصدي للاحتجاجات، ومواجهة الولايات المتحدة واستعراض القوة في المنطقة. وعلى غرار المهندس والشيباني، كلاهما نتاج التفكك المستمر للمنظمة الأساس "بدر" التي تتفكك بسرعة إلى عدد أكبر من الفصائل. وبالمثل، إذا أصبحت مواقع الأسلحة التقليدية المتطورة التابعة لـ«كتائب حزب الله» محط مراقبة أكثر تشدداً، فقد يتمكن "فيلق القدس" من "الولوج" إلى منشآت تملكها فصائل أخرى، مثل القسم الذي تسيطر عليه "كتائب سيد الشهداء" في معسكر "الصقر" جنوب بغداد، أو المجمع الكبير من "أكواخ" تخزين الذخائر تحت الأرض التابع لـ"كتائب الإمام علي" في مطار الصويرة.

وكما ذكر أحد العراقيين المطلعين على الأمر: لا تفضل إيران جماعة معينة في الوقت الحالي، كما أن المرشد الأعلى مستاء من كافة الميليشيات العراقية ولا يثق إلا بـ«حزب الله» اللبناني وسيعتمد عليه

في المستقبل. وتواصل إيران دعمها لمختلف الميليشيات ولم تقطع المساعدات عن أي منها، غير أنها تختار الأفراد الموهوبين والراغبين وتنظم جماعات صغيرة تحت تسميات متنوعة وتدعمها. وهي لا تعلق آمالاً كبيرة على الميليشيات الحالية.

وبعد أن انكشفت هوية «كتائب حزب الله» وغيرها من أبرز وكلاء "فيلق القدس" التابع لـ"الحرس الثوري الإيراني" في العراق قبل حوالي 15 عاماً، قد يُطلب منها مرة أخرى أن تنقسم إلى وحدات أصغر حجماً وتعيد تشكيل صفوفها وتعود إلى العمل في الظل. ولن يكون من المفاجئ أن تقع «كتائب حزب الله» التي توسعت بشكل كبير حالياً ضحية الانقسامات والانشقاقات، ولا سيما بسبب غياب سليمان أو المهندس كصانع سلام. وقد يكون تشكيل جماعة "الوارثون" المذكورة أنفاً مؤشراً على فصل العملاء الأصغر سناً والموهوبين ومجهولي الهوية، مما يعيد التذكير إلى حد كبير بتشكيل «كتائب حزب الله» بحد ذاتها.

مايكل نايتس هو "زميل برنشتاين" في معهد واشنطن، ومنذ 2003، يقوم كل عام بإجراء بحوث مكثفة في العراق وفي منطقة «حكومة إقليم كردستان».